الإقليد

في فتح أبواب العلوم الخمسة

المرتبطة بفقه التحولات التليد

اسم الكتاب: الإقليد في فتح أبواب العلوم الخمسة المرتبطة بفقه التحولات التليد

اسم المؤلف: أبوبكر العدني ابن علي المشهور

الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

الناشر

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ، الجمهورية اليمنية - عدن ٢٥١٠٨٩ +٩٦٧٢ facebook/centreibdaa

ص.ب . ٧٠٠١٤ www.goraba.com

الموزعون

اليمن مكتبة تريم الحديثة - حضرموت - تريم - شارع عيديد الرئيسي

٠٠٩٦٧٥٤١٧١٣٠ tmbs417130@hotmail.com

الاردن دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٦١٩٩ فاكس ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٦١٨٨

ص.ب.١٨٣٤٧٩ عمان ١١١١٨ الاردن info@daralfath.com

الامارات دار الفقيه للنشر والتوزيع - أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة

هاتف : ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢٠ فاكس: ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢١

للملاحظات الفنية / العلمية / عزو النصوص ahmadalkaff@gmail.com





الإقليد

فِي فَتْحِ أَبْوَابِ العُلُومِ الخَمْسَةِ المُرْتَبِطَةِ بِفِقْهِ التَّحَوُّلاتِ التَّلِيدِ

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ١٥١﴾

[البقرة: ١٥١]

المطلع النبوي

«أَلَا لا يَمنَعَـنَّ رَجُـلاً مَهَابَـةُ النـاسِ أن يَتكلَّمَ بالحقِّ إذا عَلِمَه ، ألا إنَّ أفضَلَ الجهادِ كَلِمةُ حَقٍّ عندَ سُـلطانٍ جَائرٍ»

مسند الإمام أحمد (١١١٤٣)

المطلع الأبوي

خطب الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة في فتنة الخوارج ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه جاء رجلٌ فقال : لا حُكمَ إلا لله ، ثم قام آخرُ فقال: لا حُكمَ إلا لله ، ثم قاموا في نواحي المسجد يحُكِّمونَ الله ، فأشارَ عليهم بيدِهِ : (اجلسوا ، نَعَم لا حُكمَ إلا لله.. كلمةُ حقٍ يُبتَغَى بها باطلٌ ، حُكمَ الله أنتظرُ فيكم) ، فقام رجل منهم واضعاً أصبعيه في أذنيه ويقول : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فردَّ أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾

مصنَّف ابن أبي شيبة (٣٧٩٠٠)

شاهد الحال

قُلْ لِلشَّبَابِ المُنْدَفِعْ   مُفَرَّقاً أَوْ مُجْتَمِعْ
مَاذَا جَرَى في فَهْمِكُمْ   عَنِ الزَّمَانِ المُتَّسِعْ؟
مَنِ الَّذِي في عَصْرِكُمْ   قَدْ نَظَّمَ الوَعْيَ الجَشِعْ؟
وَمَنْ بَنَى أَنْظِمَةً   وَكَوَّنَ البَغْيَ البَشِعْ؟
وَأَيُّ فِكْرٍ صَاغَهُ   إِبْلِيسُ فِينَا مُذْ طَمِعْ؟
مُكَوِّناً أَجِنْدَةً   في أُمَّةٍ لا تَجْتَمِعْ
مَدَارِسٌ وَمِثْلُهَا   جَمَاعَةٌ لا تَسْتَمِعْ
عَلَى الصِّرَاعِ عَيْشُهَا   وَفِقْهُهَا نَفِّذْ أَطِعْ
لا يُدْرِكُونَ غَايَةً   في عَصْرِ إِفْكٍ قَدْ صُنِعْ
مَسْلُوبَةً عُقُولُهُمْ   وَدِينُهُمْ عَنْهُمْ رُفِعْ
وَإِنْ دَعَوْتُ بَعْضَهُمْ   لِلْحَقِّ قَالُوا: مُنْتَفِعْ
وَإِنْ رَأَوْا هُوِيَّتِي   قَالُوا: صَفِيقٌ مُبْتَدِعْ
قَدْ فَرَّقُوا دِينَ الهُدَى   وَالخَوْفُ مِنْ رَبِّي نُزِعْ
وَشَاهِدُ الحَالِ أَتَى   مِنْ قَوْلِ طَهَ فَاتَّبِعْ
وَدَعْكَ مِنِّي إِنْ بَدَا   بِالعَقْلِ أَلَّا تَقْتَنِعْ
فَالفَصْلُ فِيما أَبْتَغِي   مِنِّي وَمِنْكَ مَا شُرِعْ

المؤلف

الإهداء

إلى **طُـلَّابِ العِلْـمِ** الرَّاغِبِينَ في نَيْـلِ مَرَاتِبِ الصِّدِّيقِيَّـةِ الكُبْرَى.. شَـأْنُهُمْ شَأْنُ سَلَفِهِمُ الصَّالِحِ حَمَلَةِ السَّـنَدِ المُتَّصِلِ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ.. الَّذِيـنَ صَـحَّ فِيهِمْ قَـوْلُ نَبِيِّنَا مُحَمَّـدٍ ﷺ: «**يَرِثُ هَذَا العِلْـمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ**»[1].

وَإِلَى **شَبَابِ الدَّعْوَةِ** القَائِمَةِ عَلَى نَهْجِ السَّلَامَةِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ.. مُلْتَزِمِينَ التَّوْجِيهَ الرَّبَّانِيَّ وَالمَنْهَجَ القُرْآنِيَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٞ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرٗا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرٗا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجُرات:١١].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٩١١).

الدهليز



الحمـدُ للـهِ بيـدهِ المقاليد ، والصـلاةُ والسـلامُ على رسـولِ الفتـحِ والمنحِ والتوحيد ، والديـن الحنيفـيّ المجيد ، سـيدنا محمـد بن عبداللـه الداعي إلى المنهجِ السديدِ والوعي الأكيد ، وعلى آلهِ وأصحابهِ الأماجيد ، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الوَعدِ والوعيد.

وبعـد؛ فـإنَّ ممـا اسـتجدَّ ضـرورة معرفته اليـوم كشـف «**فقه علـوم العلم بعلامـات السـاعة**» ، ليس على صفة المألوف من ثمـرات الجمع للعلامات وشـرحها ، وإنما علـى صفة هيكلتها وترتيـب قواعدها وأصولهـا باعتبارها ركنـاً رابعاً من أركان الديـن.. وجزءاً لا يتجزأ من حديـث جبريل المعروف بـ«أم السُّنة».

وقـد شـرحنا ضوابط هـذا الترتيب في كتابنـا «**النُّبذة الصغـرى في تفصيل وتحليـل العلامـات الكبـرى والوسـطى والصغرى**» ، ووضعنـا تحـت هذه الأقسـام الثلاثة علوم فقه التحـولات أو علوم المتغيِّرات الخمسـة بفروعها المتنوعة ولكن بأسـلوب مختصر ؛ ولهذا فقد خصصنا هذا الكتيب لدراسـة العلوم الخمسـة الخاصة بفقه المتغيرات من علم فقه التحولات العلم الذي يُعنـى بتجديد لغـة الدعوة إلى اللـه وبصيانة فقه الثوابت فـي مراحل القبض والنقض والوهن والتداعي .

والمرجو من المُطَّلِع على هذا الكتيب أن يرجع إلى «**النُّبذة الصغرى**» وغيرها من الكتب التي تُعنى بالبسط المفيد في كافة مُهمَّات «**العلم بعلامات الساعة**» ضمن القراءة النَّصِّيَّة الجديدة القائمة على الربط الشرعي بين هذا الفقه المغيب[1] وفقه العلوم الأخرى.. والله وَلِيُّ التوفيق.

المؤلف

---

(١) ومعنى قولنا: (الفقه المغيب) أي: المتروك تفصيله وتبويبه منذ الزمن الأول، وسبب ذلك كونه مرتبطاً بالحوادث ، قال ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» ص١١٩ : وكان كثير من الصحابة والتابعين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها ولا يجيبون عن ذلك، قال عمرو بن المرة : خرج عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على الناس فقال : أُحَرِّجُ عليكم أن تسألوا عما لم يكن فأين لنا فيما كان شغلا؟ وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : لا تسألوا عما لم يكن ، فإني سمعت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَعَنَ السائلَ عما لم يكن ، وكان زيد بن ثابت إذا سئل عن شيء يقول: كان هذا؟ فإن قالوا: لا ؛ قال : دعوه حتى يكون، وقال مسروق : سألت أُبيَّ بن كعب عن شيء فقال : أكان بعد؟ فقلت : لا، فقال: أَرِحْنا حتى يكونَ ، فإذا كان اجتهدنا لك رَأْيَنَا ، وقال الشعبيُّ: سئل عمار عن مسألة فقال: هل كان هذا بعدُ؟ قالوا : لا ، قال : فدعونا حتى يكون ، فإذا كان تَجَشَّمْنَاه لكم.

قلتُ: ومثل هذا القول منحصر لدى أهل علم الأصول في الحوادث والتوسع في توليد المسائل الفقهية قبل وقوعها ، مما يعرف بالافتراضيات أو الفرضيات ، واشتغال البعض بتكلف الجواب عن ذلك وكثرة الخصومات في الجدال عليها .

أما ما نحن بصدده من فقه التحولات فإنما هو ربط الحوادث بالنصوص وليس بالرأي والجدال ، وفي قول السلف أنهم يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها فإن لهم بذلك مندوحة السكوت عن علامات الساعة ؛ لأنها لم تقع آنذاك ولم يشهدوا شيئا منها.

أما وقد وقع أكثرها الآن وخاصة العلامات الوسطى والصغرى فالإيضاح عما وقع لازم وواجب كما أشرنا في العبارات السابقة ، والله أعلم.

علوم فقه التحولات

١. فِقْهُ النَّوَاقِضِ وَالنَّقَائِضِ وَمُضِلَّاتِ الفِتَنِ وَأَسْبَابِ الوِقَايَةِ مِنْهَا.

٢. فِقْهُ الإِشَارَاتِ وَالبِشَـارَاتِ وَالنَّذَارَاتِ والحَصَانَاتِ وَشَرَفِ العَدَالَةِ وَالسَّنَدِ.

٣. فِقْهُ مُسْـتَجَدَّاتِ العُلُومِ النَّظَرِيَّـةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ وَالثَّقَافَـاتِ ، وَمَا يَخُصُّ الإِعْجَازَ العِلْمِيَّ وَالمَعَارِفَ المُتَنَوِّعَةَ السَّـلْبِيَّةَ وَالإِيجَابِيَّةَ (النَّظَرِيَّاتِ وَآلِيَّاتِ التَّطْبِيقِ).

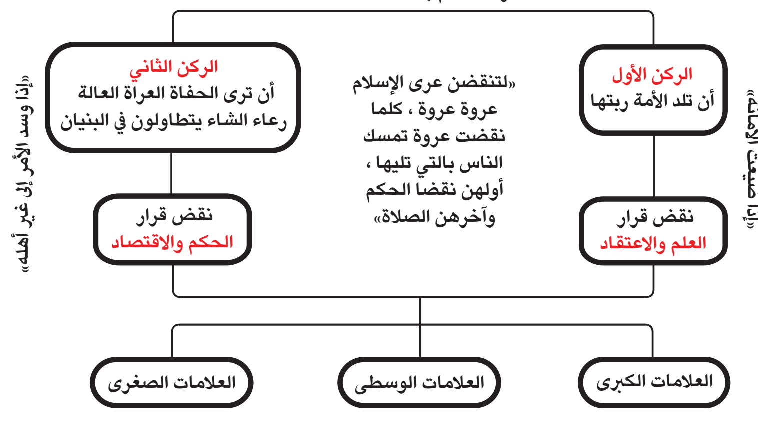
٤. فِقْهُ الأَشْرَاطِ الكَوْنِيَّةِ وَالمَلَاحِمِ.

٥. فِقْهُ الرَّبْطِ الشَّرْعِيِّ بَيْنَ الدِّيَانَةِ وَالتَّارِيخِ.

وقد أشَرْنا في «النبذة الصغرى» إلى التسلسل الهيكلي لهذه العلوم الخمسة وموقعها من الركن الرابع من أركان الدين وِفقَ الترتيب البياني التالي:

الرسم البياني لعلوم فقه التحولات





علوم فقه التحولات

فقه النواقض والنقائض ومضلات الفتن وأسباب الوقاية منها في الحكم والعلم والاقتصاد

فقه الإشارات والبشارات والنذارات والحصانات وشرف العدالة والسند

فقه مستجدات العلوم النظرية والتطبيقية وجديد الثقافة والمعارف السلبية والإيجابية وما يخص الإعجاز العلمي

فقه الأشراط الكونية والملاحم

فقه الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ

علاقة العلوم الخمسة بالعلم بعلامات الساعة

تندرج العلوم الخمسة المشار إليها سلفاً بالعلم بعلامات الساعة كونها علوماً استباقية في بعض نماذجها ، منطوية تحت ما أخبر عن وقوعه سيدنا محمد ﷺ استباقياً قبل وقوعه، مثل ما أخبر عنه ﷺ من النواقض والنقائض المعروفة في فقه علامات الساعة بـ«الفتن ومُضِلَّاتها» ، واتخاذ المواقف الشرعية حيالها.

ومثلها علوم تجمع بين البشارات المستقبلية والنذارات والإشارات وفقه حصانة الذوات والمراحل مما يقطع الألسنة المتخوِّضة في عباد الله الصالحين قديماً وحديثاً.

ومنها علوم استقرائية ترتبط بالتحولات الكونية بمسيرة التاريخ الإنساني وتصحيح مساره الشرعي وَفق ما جاءت به الرسالة الخاتمة وإدانة الانحرافات والتحريفات التي جرت وتجري على أيدي مدارس الكفر والإلحاد والنفاق والاستتباع والدَّجل من التفسير المادي للحياة وبَدء الخليقة ونهاية الكون وانحراف مسائل الأخذ بالقِيَم والضوابط والحرِّيات في حياة الجنسيْن.. إلخ .

والمُتابع بوَعي «مُهمَّة الديانة» ووظائفها في الحياة الإنسانية يدرك من خلال الاحتكاك بالحياة الفكرية المتطورة حجم المسؤولية الشرعية أمام السخرية التي يتناول بها المفكِّرون المادِّيون مسألة «الديانة والتدين» ، ويذهبون في النيل من علوم الغيب والقضاء والقدر والسوابق والخواتيم مذهب الجحود والإنكار، بل ربما اعتبروا الخوض فيها من ضروب الجهل والأساطير والخيالات. ويفصلون بين «الدين والعلم» ، ويقرؤون الديانة الشرعية

بلغـة العقل المادي المجرد وبالتفسـير العقلاني الوضعـي، معتقدين الحجة الدامغـة في نسـبة التطـور العلمي إلـى «الكُفـر والفلسـفة المادية»وحدها، وأمـا الدين وعلـم الغيب فمتعارض مع الحقائق العِلمية، ثم ينسـبون العقل الراجح والعلم الراسـخ والدليل القاطع والبرهان الناصع لما اجتمعت عليه آراؤهم ورؤاهم الظنية علمانية أو إلحادية مجردة.

وبرز من عمق الواقع العربي والإسـلامي الغثائي المتمرحِل مَن حَمَلَ لِوَاءَ العلمانية والعَلمنة والعولمة المسيَّسة، ليؤيد الأطروحات الشيطانية علمانية وإلحادية على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والإعلاميـة والتعليمية، وهَلُمَّ جرًّا.. بدءًا بالأفكار الفلسـفية المنسـوبة قبل الإسلام إلى اليونانية والهندية والفرعونية وغيرها وما تفرع عنها بعد الإسلام وتغلغل في العقول العربية والإسـلامية المتأثرة بالثقافات الغازية في مرحلة «الأحلاس» التي كشـف سِـرَّها النبي محمد ﷺ، وما تلاهـا من نقض قرار الحُكم الإسـلامي العام بإسقاط السـلطان عبد الحميد الثاني وإعلان الدولة العلمانيـة الأولى فـي عالمنا المغتصب على يد مصطفـى أتاتورك، وما تلاه من مرحلة «السرَّاء» و«الدهيماء» حتى مرحلة «الفتنة الرابعة» التي يؤولُ فيها أمـرُ الأمَّـة إلـى الكُفر، فعن أرطأة بن المنـذر قال: بلغنا أن رسـول الله ﷺ قـال: «**تكـون فـي أمتي أربع فتـن تصيب أمتي فـي آخرها فتـن مترادفة**- إلى قولـه: **والرابعة تصيـرون فيها إلى الكُفر، إذا كانت الأمَّة مع هذا مرة ومع هذا مرة بلا إمام ولا جماعة، ثم المسـيخ، ثم طلوع الشـمس من مغربها، ودون السـاعة اثنـان وسـبعون دجالاً، منهـم من لا يتبعـه إلا رجـل واحد**»[1]، وما كان فـي هـذه المراحل المسيَّسـة مـن (نقض) و(قبـض) و(تـداعٍ) و(وَهَنٍ)

---

(١) الفتن لنعيم بن حمَّاد (٩١).

و(اسـتتباعٍ) و(توسيدٍ) و(ضياعِ أمانةٍ) أدَّت كلها بالضرورة إلى فشوّ مدارس الاستعمار والاسـتهتار والاسـتثمار، المهيمنة على مفاصل القرار الشـرعي للحُكم والعلم حتى اليوم، بل وبرز من محيط «الفتنة ومؤسساتها المعاصرة» من رَبَطَ السَّلف الصالح - أهل السند والعدالة الشرعية - بالشِّرك والضلالة مقابـل نسـبته الجريئة علمـاءَ الغثاء وفقهـاء القصعة للأمانة واتِّبـاع الصحابة والسلف.

وغفل علماء المسـلمين أنفسهم عن تشـخيص الحالة الكائنة، وقصر باع الكثير عن اسـتيعاب القراءة النصية لحديث جبريل «أم السُّنة»، وربط الركن الرابـع الخاص بالمتغيرات وفقه علامات السـاعة بـالأركان الثلاثة الجامعة للثوابت، وظـل العديد من العلمـاء عبر قرون التحوُّل والتمـوُّل بعلم وبغير علـم يؤيدون الحركة التاريخية للاسـتعمار، أو يصمتـون حِياله، ويتأقلمون جيلاً بعد آخر على اسـتيعاب مخرجات السياسـة الغازية طوعاً وكرهاً حتى اليوم والليلة.

لقـد ثبـت يقينـاً وبما لا يدع مجالاً للشـك أن مـادة «علم فقـه التحولات» معـادل ضروري وإيجابي لحفظ شـرف الأركان الثلاثـة وصيانتها من عبث العابثين ودجل الدجاجلة الموعود بهم في نصوص علامات الساعة.

كما أنها مؤشرٌ شـرعيٌّ يحدد زمن البشارات والنذارات والإشارات وأيام الحركـة وأيام السـكون، وفقـهٌ يُميـز للمسـتبصِرين مراحل النقاء الشـرعي التي يجب فيها على المسـلم المشـاركة والإدلاء بالرأي والخدمة الواجبة، وبيـن مراحل الضبابيـة والخلط والخبط والفتنة وما يجـب فيها من الصمت والخلود إلى السـكون والأخذ بأسباب الحذر والحيطة، وخاصة عند وقوع الأمة في «الغثاء المسيَّس» من حصول استتباعها للأمم الأخرى وانتزاع هيبة الإسـلام من صدور العدو، ومن نقض العلم وقبض العلماء وشمول الوهن

والتداعي وإلى غير ذلك من علامات التحوُّل .

إنَّ فقه التحولات المأخوذ من فقه العلم بعلامات الساعة مشحونٌ بتحليل وتفسير هذه الحالة الخطيرة ، ومُقَعِّدٌ لأسبابها ، وشارحٌ لدَور العلم الحديث ورموزه الماديين فيها وما يفترونه بخداعهم ودجلهم على الأمم بمُسمى العلم النظري المسخَّر للكفر والإلحاد والهيمنة على الشعوب .

كما أنَّ فقه التحولات يبرز العلاقة الحميمة بين هذه النماذج العِلمية المادية وبين سياسة الإبليس الرجيم في العالم الإنساني ، بحيث يصبح الفكر العلماني والإلحادي وما تفرع عنهما من الرؤى والنظريات الكافرة في شؤون العقائد والأخلاق والغيبيات جزءاً من مشروع الشيطان في الأرض ، وهو المشروع الذي أقسم الشيطان يوم كفره الأول أن يطبّقه في الإنسان:﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١١٨-١٢٠].

والمعلوم بيقينٍ أن الفكر العلماني والإلحادي وما شابهه من الأفكار الوثنية والجاهلية وانحرافات أهل الكتاب يصب في مشروع الشيطان المَريد ، وبدراستنا لفقه التحولات في أقسامه الخمسة نُمَيِّزُ بين مواقع هذه العلوم من خدمة المشروع الشيطاني في مسمياته الاحتناكية وأنويته الطبعية ، وبين خدمة المشروع الرباني في نورانيته الشرعية وثوابته النبوية وظواهره السَّندية الأبوية وعدالة رجاله وأئمته العدول..﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ...﴾[الحجر:٤٢] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[ص:٨٣] .

كما أنَّ علماء المادة صرفوا العقل الإسلامي المعاصر - كما صرفوا

العقـل الإنسـاني بعمومـه - عـن الغيبيـات والمسـلَّمات واليقينيـات الكونيّة ، وربطوها بالعلم النظري الحديث ، وشَـككوا فـي الثوابت العقدية باسـم البحـث العلمي ، والحقائـق الماديـة المطلقة..وفصلـوا بهـذا بيـن الأسـباب ومسـببها ، وبين الظواهر وخالقها ، لأنهم جـرَّدوا العلوم النظرية والثقافـة الإنسـانية عن الارتباط بقضايـا التدين والديانة تبعـاً لموقف علماء الغرب من الكنيسة في مرحلة الثورة الصناعية ومقدماتها ، وما تمخض عنها مـن صراع بيـن الفريقين ، ومـن خلال هذه النظرة السـلبية أَنْزَلَتْ المدرسـة العلمانية هذا الموقف خلال مرحلة الهيمنة الاسـتعمارية على ديانة الإسلام تشفياً وعداوة ، والإسلام من ذلك براء.

وللإسـلام بأركانه الأربعـة موقفٌ من المدرسـة العلمانية ومن المدرسـة الكَنَسـية . وهـو - أي : الإسـلام - مَعنـيٌّ بتصحيـح مـا أخطأتـه المـدارس اليهوديـة والنصرانيـة والجاهليـة الوثنيـة والمـدارس العلمانيـة الإلحاديـة والتوليفية وغيرها.

والتصحيـحُ مرهـونٌ بقـراءة ودراسـة أركان الديـن الأربعـة مجتمعـةً لا متفرقةً ، حيث تقوم أركان الثوابت الثلاثة بأمر التكليفات المشروعة على الأمم والشعوب ، ويقوم الركن الرابع بأمر المتغيرات والانحرافات والجنوحات في أمة الإسـلام وفي غيرهـا من أمم أهل الكتـاب وأمة العـرب والفرس وغيرهم من الشـعوب.. كما يقوم أيضاً بتفسـير ما تقوم به الشـعوب الإنسـانية من ثورة الصناعـة والمعلومـات وعلـوم المادة ومـا يترتب على هذا القيـام من توظيفٍ سـلبيٍّ ضد الديانة الإسـلامية ، وعلاقة هذا التوظيف بالشيطان والدجال ومن سـار في فلكهما من الدجاجلة المُضلِّين ممن حـذَّرت منهم أحاديث علامات الساعة ووصفت أحوالهم وصفاتهم وأعمالهم ووسائل انحرافهم.

والمُعتَقَـد - والله أعلم - أنَّ دينَ الإسـلام بأركانـه الأربعة حوى مهمات

الدين والدنيا ، وحدد المعالم الخيِّرة والشواهد النيِّرة في الحياتين ، كما دمغ وأدان الكفر والدجال والشيطان ، وكشف في فقه الركن الرابع ـ بالخصوص ـ مواقع الإيجابية والسلبية في منطلقات الأمم والشعوب.. ولم يبقَ علينا نحن المسلمين غير العود إلى ربط الوحدة الموضوعية في حديث جبريل بالأركان الأربعة لنحلَّ لغز الحياتين الدينية والدنيوية من داخل النص الشرعي العظيم. وجزى الله علماء الأصول والحديث والتفسير والعقيدة واللغة وغيرها خير الجزاء على ما خدموه في أركان الثوابت الشرعية ، وما أفاضوه من التفريعات والحواشي والمسائل كلٌّ على نهج مذهبه ومدرسته.. وبقي علينا جميعاً تلافي الهوة السحيقة التي عمل الشيطان ووكلاؤه على إسقاط المسلمين فيها بين «المنافسة والتحريش».

والهوة المشار إليها لا يمكن تلافيها ولا سد الثغرات التي دخل الشيطان ووكلاؤه منها إلا بعمق الدراسة لركن المتغيرات الخاص بـ«فقه التحولات» ، لأن النصوص المجموعة في هذا الفقه مَعْنِيَّةٌ بمراحل التغيير والنقض والقبض ، وبفقدانه وعدم النظر فيه ظل المسلمون يعالجون قضايا المتغيرات بنصوص الثوابت وما تفرع عنها ، ولازالوا كذلك..

وربما تناولوا أحاديث علامات الساعة بكونه ليس فقهاً شرعياً ومعالجةً نبويةً ، وإنما اعتبروه استدلالاً مبتوراً عن مادة فقهه الشرعية ، حتى صار الفرد المدان أو الجماعة المدانة بالنص الفقهي في علامات الساعة يوظفان الأحاديث ذاتها على أضدادهم ومخالفيهم من أُمة الإسلام العدول ، وصار أصحاب السياسة من الحكام وبطانتهم والأحزاب وأتباعهم يُهندسون الأحاديث النبوية وَفقَ الظروف السياسية والأحداث الجارية ، ذات العلاقة بالدجل والدجاجلة وسياسة التهيئة للمسيخ الدجال.. وللأسف.

إنَّ ابتعاثَ الركن الرابع مِن مَكمَنِ سجنِهِ التاريخي أمرٌ شرعيٌ ضروريٌ لا

مَناص عنه ولا فكاك ، وبابتعاثه الواعي تبدأ الدراسة الموضوعية للنصوص النبوية متسلسلةً بصفتها الهرمية من الأعلى إلى الأدنى حتى تبلغ الدراسة إلى ما يخص التفريع والتنويع في شأن تجديد منهج الدعوة إلى الله واستمرار لغة الحكمة والموعظة الحسنة.

ولقد ظن بعض الباحثين والمثقَّفين أنَّ الابتعاث المنشود إعادة قراءة العلامات والأشراط وفق الاستقراء العقلاني والفهم الميداني لمسيرة الحياة المعاصرة فبرزت عشرات المؤلفات والرسائل والبحوث المتناولة لمسميات متنوعة العبارات والشعارات ، كل منها يحمل ثقافة ومتجهات وسياسة «المنهج المذهبي المتداول» ، ويربط الثوابت وعلامات الساعة بما تتصوره الأفهام المتقولِبة ضمن سياسات الاستتباع والوهن والغثاء المدانة في «علامات الساعة» ، أو هي نموذج من تحقيقات المؤلفات القديمة في الفتن والعلامات والأشراط والتركيز على تصحيح الأحاديث وعزوها إلى موقعها من الصحة والحُسن والضعف.

والذي يظهر للمستبصر أنَّ مثلَ هذا الابتعاثِ خدمةٌ جليلةٌ للمادةِ الشرعيةِ المقروءةِ عبرَ الأجيال ؛ ولكنها منقطعةٌ تماماً عن أصولها الشرعية ، ومثالٌ من أمثلة التجديد على صفة التقليد لمن سبق من علماء هذا العلم أو المشتغلين به كنصوص ، مع تصحيح ما وقعوا فيه من خطأِ العزوِ والإسقاطِ والمطابقة على الواقع.

والحقيقةُ التي يُفصِحُ عنها فقه التحولات ـ المعنيُّ بركن المتغيرات في فقه العلم بعلامات الساعة ، القائمُ في أصالته على دراسة الوحدة الموضوعية لرباعية الأركان في حديث جبريل ، الموصوفِ لدى علماء الأصول بـ« أم السُّنَّة »: ـ أنَّ الابتعاثَ الصحيحَ لهذا العلم لا يقفُ عند تناول المألوف ، وإنما يتجاوزُه بعد الاستفادة منه إلى أمرين:

الأول: ربطُ هذا العلم بأصله الشرعي في حديث جبريل.

الثانـي: إعادةُ هيكلةِ قواعد علم السـاعة ومتفرعاته ضمن الدراسـة النصية الشرعية للركن الرابع من حديث أم السنة بطرفيْها:

١- «**أن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها**» أو «**ربَّها**»

٢- «**وأن تَرى الحُفاة العُراة العالة رِعاءَ الشَّاء يتطاولون في البُنيان**»

وهذا ما تعتني به هذه الرسالة.

ومـن هذا المدخل النَّصي المُعتبر تبدأ مُهمـة الابتعاث الجديد لقراءة علم المتغيـرات مشـفوعاً أيضـاً بدراسـة العلامـات المتماسـكة بينـه وبين علوم الثوابت الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.. وبالله التوفيق.

فقه علم النواقض والنقائض
والفتن ومُضِلَّات الفتن والوقاية منها

أُطلق على هذا العلم مسمى «فقه النواقض والنقائض» كونه مخصوصاً بهذا النوع من فتن الحُكم والعلم، وشؤون الاعتقاد والاقتصاد، والتربية والتعليم والإعلام والثقافة وأمور الديانة والتديُّن، وما أصاب أهل هذا الأمر من الفتن ومُضلاتها مما يندرج تحت الإشارات النبوية العديدة، وسنتناول هذا الأمر بالتفصيل.

التَّعْرِيفُ الجَامِعُ لِلفِتْنَةِ

للفتنةِ مَعنيان أساسيان:

* الابتلاءات العامة التي تصيب الفرد أو الأمة، ويكون بها حصول انحراف أو تحوُّل مخالف لأمر الشريعة.
* الاختبار للمسلم ينال به الثواب والأجر عند صبره واحتسابه لله تعالى كما هو في فتنة المال والأهل والولد.

التَّعْرِيفُ الجَامِعُ لِمُضِلاَّتِ الفِتَنِ

أما مُضلات الفتن فينحصر المعنى فيها على أمرين مهمين:

١) **فتن العلم والاعتقاد**، وقاعدتها النصية: «**أنْ تَلِدَ الأمَةُ ربَّتها**» أو: «**ربَّها**».

٢) **فتن الحُكم والاقتصاد**، وقاعدتها النصية: «**أنْ تَرى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشَّاء يَتطاولون في البُنيان**»[1].

---

(١) صحيح مسلم (٨).

وهما أصل جامع لما عرّفناه بـ(النواقض والنقائض) ، وقد أشرنا في كتابنا «دوائر الإعادة ومراتب الإفادة» إلى أنَّ علم (النواقض والنقائض) أحد فروع علم المتغيرات.

و«النواقض» **لغةً** : جمع ناقض مأخوذة من الفعل (نقض ينقض) ، وهو ما يزيل الشيء من أساسه ويقطعه من أصله. وفي **اصطلاح فقه التحولات** : هو اسمٌ لكل ما ينقض العرى في شؤون الحُكم والعِلم والأعمال والقِيَم وثوابت العبادة والعادة .. وإلى هذا المعنى يشير الحديث الصحيح : «**لَتُنْقَضَنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُروةً ، كلما انتقضتْ عروةٌ تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهنَّ نقضاً الحُكم ، وآخرهنَّ الصلاة**»[1] .. «**ورُبَّ مُصَلٍّ لا خلاق له**»[2].

وأما «**النقائض**» لغةً : فجمع نقيض ، مأخوذة من صيغة المفاعلة (ناقض يناقض) ، أي : جاء بما يخالف المألوف والسائد ويعارضه.

وفي اصطلاح فقه التحولات : اسم لكل موقف ضديٍّ يصدر من فرد أو جماعة يخالف العمل الشرعي السائد ، ويأتي بضده بدليل مناقض وفهم معارض ، فهو يأتي بمعنى الضدية والإتيان بما ينافس الأمر وينازع فيه على صفة الصراع الفكري في العقائد والعبادات والعادات وفي السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والثقافة والإعلام ، بما يزعزع ثوابت شرعية سائدة بنقائضها المسيسة لتصب في نهاية الأمر إلى التفرق والعداوة والبغضاء بين المصلين.

والنقائض والنواقض هي في الأصل وسيلة الشيطان في البشرية لإنجاح مشروعه الأنوي الخطير ومشروعه المشار إليه يكمن في أمرين أساسيين :

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) .

(٢) وفي «المعجم الصغير» للطبراني (٣٨٧): «**أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة، ورب مصل لا خلاق فيه**» ، وفي «شعب الإيمان» بلفظ : «**لا خير فيه**».

١- المنافسة

٢- التحريش

فالمنافسة مادة الصراع الأساسي في النفس البشرية وهي طبع من الطباع المودعة في الإنسان ، ولا تُرَوِّضها إلا الديانة الشرعية المتكاملة ، ومتى ما وجد الشيطان النفس البشرية المجردة عن التزكية والديانة فتح لها باب الإثارة والطموح لتبدأ حالة التنافس والمنافسة.

وعامل إنجاح المنافسة مادة «التحريش» القائمة على الغيبة والنميمة والكذب والبهت وسوء الظن والتحسس والتنابز بالألقاب والمسمَّيات ، وبهذه المادة الطبعية البشرية ـ التي تزيد بالجهل والعصبية والحمية وحُب الذات ـ تَنجح مادة «النواقض والنقائض» في إشعال الفتن ومضلاتها في الشعوب..

وقد شهدت الأمة الإسلامية في مراحلها المتقلبة نماذج المنافسة والتحريش المؤدية إلى الفرقة والاختلاف والتنازع والحروب منذ عهد الملك العضوض حتى عهد الغثائية الموعودة.. وحشدَ كل فريق جملة (النواقض والنقائض) ضد خصمه ومعارضه ومنافسه خطابة وكتابة وتوثيقاً تاريخياً.. ولم يسلم من هذه العلل المدمرة إلا الأثبات العدول.. وهم قليل من قليل.. وسنقرأ مواقفهم في لاحق البحث النصي الخاص بفقه التحولات وأقسام علومه الخمسة..

وشاهِدُ عِلَّةِ المنافسة المشار إليها في المشروع الأنوي الإبليسي قولُ المعلم الأعظم ﷺ في الحديث الصحيح : «**إني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا بعدي ، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا**

كمـا هلك مـن كان قبلكم»[1] ، وهـذا الحديث ملحظٌ نبويٌّ هام إلى مسـألة التنافس في قضايا العلم والاعتقاد.

والثاني من شـواهد النبوة في عِلَّة التحريش الذي تصاب به الأمة قوله ﷺ في الحديث الصحيح : «**فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيـا عليكم كما بُسِـطَتْ على مـن كان قبلكم ، فتنافسـوها كما تنافسـوها وتهلككـم كما أهلكتهم**»[2] ، وفي رواية : «**وتُلهيكـم كما ألهتهُم**»[3] ، وهذا أيضاً ملحظٌ نبويٌّ هام في مسألة التنافس في قضايا الحُكم والاقتصاد.

وقد اسـتفحل الداء الناخر في الأمة على هذين العنصرينِ المفسدينِ حتى عصرنا اليوم ، وتوارثت الشعوب الحقد والبغضاء والأزمات جيلاً بعد جيل ومرحلةً بعد أخرى.. ومِن خَلفها الشيطان بخيله ورَجِله .

ومظاهـر هـذا الأمر بـارزةٌ في الصـراع العقـدي والسياسـي والاقتصادي والحزبـي والفئـوي في شـعوب القـرآن والسُّـنة ، وفي غيرها من الشـعوب العلمانية والعلمنية والعولمية ، وَفقَ المخرجِ الشـيطاني الدجالي المُبرمَج.. وهو المُخرج الذي اتسـع في الهيمنة والسـيطرة والتحكـم الفعلي منذ بداية المرحلة الغثائية ، وهي المرحلة التي شـهدت سـقوط القـرار العالمي للأمة الإسـلامية بسـقوط الخليفة العثماني السـلطان عبدالحميد الثانـي ، وابتداء المرحلـة المدونمة[4] ذات العلاقة بالمصالح الاسـتراتيجية للعصبة العالمية

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٩٦) .

(٢) صحيح البخاري (٣١٥٨) .

(٣) صحيح البخاري (٦٤٢٥) .

(٤) **المرحلة المدونمة** : مرحلة هيمنة يهود الدونمة على قرار الحكم تحت غطاء حزب الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية بعد عزل السلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله، وهي المرحلة التي امتدت ١٥ عاماً تحولت فيها الصورة الإيجابية التي كانت عن دولة الخلافة

الاستعمارية ، وما تلاها من مراحل المنافسة والتحريش والتداعي والوهن والتوسيد وضياع الأمانات.. وفيها يقول ﷺ : «**كيف بك يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه**» قال ثوبان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أمِن قِلَّة بنا ؟ قال : «**لا.. أنتم يومئذ كثيرٌ ولكن يُلقى في قلوبكم الوَهَن**» قالوا : وما الوهن يا رسول الله؟ قال : «**حُبُّكم الدنيا وكراهِيَتُكم القتالَ**»[1] ، ومفهوم الغثائية يشمل عدة تقلبات مرحلية :

- مرحلة الاستظهار
- ثم مرحلة الاستعمار
- ثم مرحلة الاستهتار
- ثم مرحلة الاستثمار.

ويقابلها في النص النبوي من فقه علامات الساعة المراحل التالية:

- مرحلة فتنة الأحلاس
- ثم مرحلة فتنة السرَّاء
- ثم مرحلة فتنة الدهيماء
- ثم مرحلة الفتنة الرابعة التي يؤول أمر الأمَّة فيها إلى الكُفر[2].

وقد مرَّت هذه المراحل الغثائية كلها في أمة القرآن والسنة؛ وتكاد مرحلة الفتنة الرابعة المشار إليها أن تتمخض عن ما بقي من فتنة الصيلمة ، وتسمى

إلى عداوة وبغضاء وصراع بين القوميات والشعوب بفعل التدخلات الأجنبية والتحالفات الشيطانية الدجالية ، وهي التي أشار إليها حديث الأعرابي السائل عن الساعة فقال النبي ﷺ : «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال : وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله**» .

(١) «مسند أحمد» (٨٧١٤) .

(٢) راجع كتابنا «الأسس والمنطلقات» لمعرفة تفصيل هذه المراحل.

أيضاً مرحلة الاستنفار ، وهي المرحلة السابقة للمرحلة السفيانية والله أعلم.

لقد تناول العديد من العلماء والباحثين والمختصين موضوع (علامات الساعة) ، وصنفوا فيها المؤلفات العديدة والبحوث المفيدة ، ومنهم من تناول علامات الساعة كفقه يعتمد التحليل والمطابقة بين الفتن ومجريات الواقع ؛ ولكن دون ربطها بالوحدة الموضوعية لحديث جبريل ودون الإشارة لركنية الركن الرابع ، ودون الربط بين الديانة والتاريخ.

وقد أشرنا في كتابنا «دوائر الإعادة ومراتب الإفادة» إلى جملة من نماذج الفتن ومُضِلَّاتها ، كما جاءت في مسيرة التاريخ الإسلامي ، مع تفنيد أنواع وأنماط الفتنة ، فليراجع الراغب في ذلك لمزيد من الاستفادة والاطلاع.

الوِقَايَةُ مِنَ الفِتَنِ وَمُضِلاَّتِهَا

وأما الوقاية من الفتن ومُضلاتها فهو فقه مرتبط بهذا الفصل ، حيث بيَّن المصطفى ﷺ العلل والخلاص منها وكيفيات المعاملة مع نماذجها ورؤوسها وأقماعها ، ويلتصق هذا الأمر التصاقا لازماً بالتحولات والمتغيرات ويَحتاج إلى تبيين وسائلها ومسائلها؛حيث أصيبت الأمة في شتى مراحلها وأحداثها بعِلة الاندفاع رغبةً في المشاركة لمظاهر التغيُّرات الاجتماعية والسياسية.

ومنها -أي: في هذه المظاهر - ما قد حذَّر منه النبي ﷺوأسماها: «مُضِلَّات الفتن» ، والمعلوم أن فقه التحولات يعتني بدراسة الفتن عموماً ومُضلاتها خصوصاً ، ويضع كل نموذج فيما يناسبه ويخصه من فقه الأصول أو من فقه التحولات ، حيث إنَّ الفتن الخاصة بفقه التحولات ترتبط بمسائل نقض الحكم والعلم ومسائل الدجل والدجاجلة الذين يُحرفون الكَلِم عن مواضعه ، وبما يُصيب المسلمين في قرار الحُكم والعلم من أثر الاستتباع والأخذ بسَنن الأُمم.

كما اعتنت أحاديث العلم بعلامات الساعة بفقه الفتن اعتناءً كبيراً، وجمعتْ في نصوصها المحفوظةِ على اختلاف مراتبها من حيث الصحة والحسن والضعف مادةَ العلم بهذا الفقه ومواضيعه المتشعبةِ بما يُغطي مساحة الأزمنة وحوادثها.. قديمة وحديثة ومستقبلية.

وبالتمعُّن الواعي في أحاديث الفتن ومضلاتها منذ وفاة النبي ﷺ حتى مرحلة التمزق والتشرذم ـ سواء قبل مرحلة الغثائية أوما كان خلالها، أوما تناوله فقهاء هذا العلم ورواة الأحاديث والأخبار والسِّيَر ـ بهذا التَّمَعُّنِ يتبيَّن المعنى الشريف من دعوة المصطفى ﷺ للسلامة من الفتن، كما يتبين للباحث: مَن هُمُ المعنيون بهذا المنهج الإيجابي على مر التاريخ الإسلامي؟ وما هي الوسائل الشرعية المتَّبعة لضمان السلامة من الفتن؟ ومن هم أهل الفرقة الناجية والخلفاء الراشدون المهديون عبر المراحل التاريخية المتنوعة؟ وما هي صفاتهم وعلاقاتهم وظواهرهم وآثارهم ولغة دعوتهم وفقههم المتميز؟

ثم من هم المنتحلون صفةَ السلامةِ والنجاةِ إفكاً وكذباً وزوراً وبهتاناً وتطاولاً؟ وما صفاتهم وعلاماتهم وظواهرهم وآثارهم ولغة دعوتهم وفقههم المعلول بالنواقض والنقائض والتحريش والمنافسة؟ سواء في العصور التاريخية الماضية، أو في بقية المراحل الزمنية اللاحقة.

وقد كان أكابر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يجعلون من الدعاء والالتجاء إلى الله أولَ أسباب الوقاية من الفتن المُضِلَّة التي عاصروها وعاصروا رموزها في الحُكم والعِلم.

فهذا أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يكثر من قوله في دعائه: (**اللهم لا تُدركني سنة ستين، ولا إمارة الصبيان**)[1] فاستجاب الله دعاءه ومات عام ٥٩هـ.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٠).

وعـن أبـي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـال : سـمعتُ الصـادق المصـدوق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يقول : «**هَلَكَةُ أمتي على يَدَيْ غِلمةٍ مِن قُرِيش**»[١].

كمـا أنَّ أحاديـث المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ الخاصة بالوقاية مـن الفتن قد أبقت لنا جملة من التحصينات وأسـباب الاسـتعاذة من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ووَرد في هذا الباب من الآيات والأحاديث والأدعية والمواقف ما يفيد الراغب الطالب ،

- كقـراءة فواتـح سـورة الكهـف حِصنـاً وحِـرزاً مـن الدَّجَّال ، وقـراءة المعـوذات والإخـلاص فـي الحفظ من الشـيطان والبلاء والسـلطان والحية والعقرب ومن الأمراض والأسقام.
- كما أنَّ من أسباب الوقاية من الفتن المُضِلَّة عند بروزها : العياذ بملاذ آمن والالتجاء إلى ملجأ يحفظ المرء وأهله ودينه ويحفظه من الوقوع بلسـانه من الذم أو الوقوع بيده في الدم. والملجأ والمعاذ هو الهروب مـن مواقع الفتنة وعـدم التعرُّض لأربابها ، كمـا ورد في الحديث عن أبـي هريـرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : «**سـتكون فِتـنٌ القاعـدُ فيها خير مـن القائم ، والقائـم فيها خير من الماشـي ، والماشـي فيها خير من السـاعي ، من يُشرِف لها تستَشرِفْهُ ومن وجد منها ملجأً أو معاذاً فليعُذ به**»[٢].
- ومن وسـائل السـلامة في الفتن : تعطيل آلة الحرب وترك استخدامها عند اختلاف الناس على المُلك والحُكم والسـلطان لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «**يَعْمَدُ إلى سيفِه فيَدُقَّ على حَدِّهِ بحَجر ، ثم لِيَنْجُ إنِ استطاع النَّجَاءَ**... إلخ الحديث»[٣] ، وفي روايـة الطبراني : «**وإلَّا فمَن أَتَتْ عليه فلْيَمْشِ بسيفه إلى صَفَاةٍ**» -أي : حَجَرٍ - «**فَلْيَضْرِبْ به حتى ينكسرَ ثم يضطجعْ**

---

(١) صحيح البخاري (٧٠٥٨) .

(٢) «صحيح البخاري» (٧٠٨١) .

(٣) صحيح مسلم (٢٨٨٧).

حتى تَنْجَلِيَ عما انجلتْ»[1] وذَكَر الحديث.

- ومن وسائل السلامة في الفتن: اعتزال الكُتل والجماعات المختلفة لقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفِرق كلها ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدركَك الموت وأنت على ذلك**»[2]، حيث تكون المشاركة والمساندة للفتنة وأربابها إثماً وضلالةً لقوله ﷺ: «**من كثَّر سَوادَ قومٍ فهو منهم، ومن رضيَ عَمَلَ قومٍ كانَ شَريكَ من عَمِلَ بِه**»[3]، وخاصة في العصور التي يؤول أمر الأمة فيها إلى «العدو الكافر» اقتصاداً وسياسةً وإعلاماً وثقافةً.
- ومن وسائل السلامة: الاهتمامُ بالخاصة وترك العامة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو: «**كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بَقِيتَ في حُثالةٍ من الناس، قد مَرَجت عهودُهم وأماناتُهم واختلفوا فصاروا هكذا؟**» وشبَّك بين أصابعه. قال: قلت: يا رسول الله.. ما تأمُرني؟ قال: «**عليك بخاصتك ودَعْ عنك عوامَّهم**»[4].
- ومن وسائل السلامة: الهروب بالدِّين إلى الشِّعاب والجبال واتخاذ الغنم وسيلة عيش ورزق، لحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ أن يكونَ خيرَ مال المسلم غنمٌ يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقعَ القطر يفرُّ بدينه من الفتن..**»[5]، وحديث النبي ﷺ: «**إنها ستكون فتنة المضطجع فيها خير من الجالس، والجالس**

---

(١) مسند أحمد (١٧٠١٠).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٠٦).

(٣) المطالب العالية لابن حجر العسقلاني (١٦٦٠).

(٤) مسند أحمد (٦٥٠٨).

(٥) رواه البخاري (١٩).

خير من القائم ، والقائم خير من الساعي» فقال رجل: يا رسول الله: ما تأمرني؟ قال: «**من كانتْ له إبلٌ فليلحقْ بإبله ، ومن كانت له غنمٌ فليلحقْ بغنمه ، ومن كانت له أرضٌ فليلحق بأرضه**.. إلخ الحديث»[1].

- ومن وسائل السلامة: لزوم البيت وعدم الخروج منه ، قاله رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو: «**كيف بك إذا بَقِيتَ في حثالةٍ من الناس**» **الآنف ذكره**، وفي رواية قال : «**الزمْ بيتَك وأملِك عليك لسانَك وخُذْ ما تعرفُ ودَع ما تُنكر ، وعليك بأمر خاصةِ نفسك ، ودَعْ أمرَ العامةِ**»[2] ، وفي الحديث الآخر: «**إنَّ بين أيديكم فِتناً كقِطَع الليل المظلم ، يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خيرٌ من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خيرٌ من الساعي**» قالوا: ما تأمرنا؟ قال: «**كونوا أحلاسَ بيوتكم**»[3].
- ومن وسائل السلامة من الفتن: مُداراةُ الناس وحُسن المعاملة معهم فيما يمكن المعاملة به من حُسن الخُلُق ، شاهد ذلك حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حُثالة؟**» وشبَّك بين أصابعه. قلت: يا رسول الله ما تأمرني؟: «**قال: اصبر.. اصبر.. اصبر.. خالِقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم**»[4].

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٨٧) .

(٢) مسند أحمد (٦٩٨٧) .

(٣) سنن أبي داود (٢٦٢٤) .

(٤) المستدرك على الصحيحين (٥٤٦٤).

فقه علوم الإشارات والبشارات والنذارات والحصانات وشرف العدالة والسند

وهذا الفقه هو أحد فروع أقسام دراسة علم التحولات بالإجمال باعتبارها علوماً استباقية جاءت على لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ، فهي بذلك تحمل تفسير المستقبل وحوادثه، ولها وظيفتها الاعتبارية في مراحل الفتن وأيام المتغيرات وسنتناولها في هذا الباب مقسمة حسب أسمائها:

أ - فِقْهُ الإِشَارَاتِ

وهو الفقه الخاص في علوم الساعة ومتغيراتها بالإشارة والرمز[1] لأمر معين أو حالة متوقعة قد يفصح عنها ﷺ تصريحاً أو تلميحاً، إما بوقوعه في حياته أو بعد وفاته، كقوله ﷺ: «**من نجا من ثلاث فقد نجا**» قالها ثلاث مرات، قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «**موتي، وقَتْلُ خليفةٍ مُصْطَبِرٍ بالحق يُعطيه، والدجالُ**»[2].

ومنها قوله ﷺ: «**إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لَتُنْفَقُنَّ كنوزُهما في سبيل الله**»[3]، وقد وقع ذلك في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

ومن الإشارات أيضاً قول أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا**

---

(١) للرمز موقع عظيم في «فقه التحولات»، ويحتاج إلى دراسة مستفيضة مستقلة تبين وصوله وفصوله، ونرجو الله أن يوفقنا لذلك.. انظر فصل (الرموز والإشارات) في خاتمة الجزء الأول من كتابنا «الأسس والمنطلقات».

(٢) المستدرك على الصحيحين (٤٥٤٨)، ومسند أحمد (١٦٩٧٣).

(٣) صحيح البخاري (٣١٢٠)، وصحيح مسلم (٢٩١٨).

تُصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم» وأشار إلى عمر[1] ، وحديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سأل عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال : (يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً ، قال : يفتح الباب أو يكسر؟ قال : لا بل يُكسر ، قال : ذاك أحرى أن لا يغلق)[2] ، وفيه : أنَّ الباب عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

ومنها أيضاً ما جاء عن سفينة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: لما بنى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مسجد المدينة جاء أبوبكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بحجر فوضعه ثم جاء عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بحجر ، فوضعه ثم جاء عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بحجر فوضعه ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**هؤلاء يلون الخلافة بعدي**»[3] .

ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما طلب الإذن بقتل الرجل الذي كان يُصلي بعد أن رجع أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولم يقتلاه فقال له : «**أنت له إن أَدْرَكْتَه**» ، فذهب فوجده قد خرج من المسجد فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**لو قَتَلْتَهُ ما اختلفَ اثنانِ من أمتي**»[4] .

ب - فِقْهُ البِشَارَاتِ

وهو الفقه الذي يُبرز فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ العديد من تنفُّسات المراحل وما يجعله الله من خير وبركة ونصر للدين واجتماع للمسلمين في زمن معين أو شخص محدد أو بلد مخصوص ، ومجمل هذه البشارات يتحدد فيما يلي:

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني (١٩٤٥) .

(٢) صحيح البخاري (٣٥٨٦) ، ومسلم (١٤٤) .

(٣) الفتن لنعيم بن حماد (٢٥٨) .

(٤) مسند أبي يعلى (٤١٢٧).

١ - بِشَارَةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِذَوَاتٍ مُعَاصِرَةٍ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ

كبشارته لبعض صحابته رضي الله عنهم بالجنة، وبشارته للإمام علي رضي الله عنه بقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[١]. وبشارته لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: «أشبهت خَلقي وخُلقي»[٢]. وقوله لأبي بكر رضي الله عنه: «لو كنتُ مُتخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً»[٣] وبشارته لعمر رضي الله عنه: «لو كان من بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب»[٤]، وبشارته لعثمان رضي الله عنه لما جاء بمال جهَّز به جيش العُسرة: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين[٥]، وبشارته لأبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه بقوله: «هذا أمينُ هذه الأمَّة»[٦]، وبشارته لخالد بن الوليد رضي الله عنه بقوله: «سيفٌ من سيوفِ الله»[٧].

٢ - بِشَارَةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِذَوَاتٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ

كبشارته بعالم قريش: «إنَّ عالمَ قريشٍ يَمْلَأُ طِباقَ الأرضِ عِلماً»[٨]، وإخباره بفتح القسطنطينية وأميرها[٩]، وأحاديث ظهور المهدي وعيسى ابن مريم

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٠٦)، وأوله: «أما ترضى أن تكون...».

(٢) «صحيح البخاري» (٢٦٩٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٦٧)، «صحيح مسلم» (٢٣٨٢).

(٤) «مسند أحمد» (١٧٤٠٥)، و«سنن الترمذي» (٣٦٨٦).

(٥) «سنن الترمذي» (٣٧٠١)، والمستدرك على الصحيحين» (٤٥٥٣).

(٦) «صحيح البخاري» (٤٣٨٠)، و«صحيح مسلم» (٢٤١٩).

(٧) «صحيح البخاري» (٣٧٥٧).

(٨) «مختصر المقاصد» للزرقاني (٦٢٩)، وفي«السنة» لابن أبي عاصم (١٥٢٢) بلفظ: «لا تسبوا قريشاً فإن علم عالمها يملأ الأرض علماً».

(٩) قوله ﷺ: «لَتُفتحُنَّ القسطنطينيةُ، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش» «مسند أحمد» (١٨٩٥٧).

عليه السلام في آخر الزمان .

٣- بشارات مرتبطة بمراحل

كقوله ﷺ : «**خيرُ القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم..**»[١] ، ومنها قوله ﷺ : «**أول دينكم نبوة ورحمة ، ثم تكون خلافة ورحمة ، ثم تكون ملكاً وجبرية..**»[٢].

٤- بشارات مرتبطة بأماكن

كقوله ﷺ في المدينة : «**والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون..**»[٣] ، وقوله ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا..**»[٤] ، وقوله ﷺ: «**الإيمان يمان ، والفِقه يمان ، والحِكمة يمانية**»[٥].

٥ - بشارات مرتبطة بظواهر

كقوله ﷺ: «**ثم تطلع الرايات السود من قِبَل المشرق.. فبايعوه ولو حَبواً على الثلج**»[٦].

ج - فقه النذارات

وهو الفقه الحديثي أو القرآني الذي ينصُّ على خطر قادم أو شر مستطير

---

(١) «مسند البزار» (٤٥٠٨) .

(٢) سنن الدارمي (٢١٤٦) .

(٣) «صحيح البخاري» (١٨٧٥) «صحيح مسلم» (١٣٨٨) .

(٤) «صحيح البخاري» (٧٠٩٤) .

(٥) «صحيح مسلم» (٥٢) .

(٦) «سنن ابن ماجه» (٤٠٨٤) ، و«المستدرك على الصحيحين» (٨٤) قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

مقبل أو كارثة من الكوارث المتوقعة مما يرتبط بذوات أو مراحل أو أماكن أو ظواهر مما يحتاج فيه المسلم حفظ نفسه وأهله وماله ولسانه ويده، ومنها:

١ - نَذَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِذَوَاتٍ مُعَاصِرَةٍ لِرَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ

كما هو في بعض سور القرآن من نذارات للمشركين، والمنافقين من مثل ما في سورة التوبة والمنافقون، كقوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب:٦٠].

وفي القرآن آياتُ نذاراتٍ عامةٍ وخاصةٍ ارتبطت بالذوات والفئات والجماعات والقبائل المعاصرة لرسول الله ﷺ، وليس هنا موقع بسطها.

ومن الأحاديث المختصة بالنذارات الخاصة بالذوات المعاصرة قوله ﷺ لسيدنا عثمان: «**إنَّ الله مقمِّصُكَ قميصاً** - أي الخلافة - **فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه**»[1]، وقوله ﷺ: «**إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**»[2].

٢ - نَذَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِذَوَاتٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ

وفي هذا الباب آيات قرآنية كثيرة كقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[مريم:٥٩].

وأما أحاديث النذارت الخاصة بالذوات المستقبلية كقول أبي هريرة: (اللهم لا تُدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان)[3] فاستجاب الله دعاءه

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤٥٤٤)، و«مسند أحمد» (٢٤٤٦٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٠٥٨)، صحيح مسلم (٢٨٨٥).

(٣) تقدم.

ومات عام ٥٩هـ. وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ الصادق المصدوق ﷺ يقول: «هَلَكَةُ أمتي على يَدَيْ غِلمة مِن قريش»[١].

٣ - نَذَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِمَرَاحِلَ

كقوله ﷺ: «إذا تقارب الزمان أناخ بكم الشُّرْفُ الجُون.. فتن كقطع الليل المُظلِم»[٢].

٤ - نَذَارَاتٌ مُرْتَبِطَةٌ بِأَمَاكِنَ

كقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلِّي أكون أنا الذي أنجو»[٣]، وفي رواية مسند أحمد بنحوه وزاد: «يابنيّ فإن أدركته فلا تكونن ممن يقاتل عليه»[٤]، ومنها قوله ﷺ: «ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت- أو من حضرموت - تحشر الناس» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالشام»[٥].

د - فِقْهُ الحَصَانَاتِ

ويرتبط هذا العلم في قسمه الهام من فقه التحولات بسلامة الديانة وحفظ الأمانة، وانتقال مشروعية التسلسل المسند للقرآن والسنة والعلم الشرعي، في أوعيته المشهود لها نصا بالسلامة من الفتن والزيغ والنفاق

(١) تقدم.
(٢) «الفتن لنعيم بن حماد» (٦).
(٣) صحيح مسلم (٢٨٩٤).
(٤) مسند أحمد (٨٣٨٨).
(٥) مسند أحمد (٥١٤٦)، مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٣٢٠)، سنن الترمذي (٢٢١٧).

والفسق والبهتان والتحريف والتضليل والإفك، جيلا بعد جيل، وزمناً بعد آخر، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر:٩]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، ولقوله ﷺ: «**يَرِثُ هذا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين**»[١].

وتزداد أهمية هذا القسم بازدياد التحولات الفكرية والسياسية، وشمول الفتن المضلة في أمر الدين والحكم وشؤون الاعتقاد والاقتصاد، وتدخُّل أعداء المسلمين في شأن قرار الحكم والعلم، كما هو في مراحل الاستعمار والاستهتار والاستثمار، ودفعهم بتيارات الطائفية والقبلية والقومية وغلاة الأفكار المذهبية والفئوية لإنجاح سياسة التحريش الشيطانية في الشعوب، والمنافسة على السلطان والقرار، واتخاذ فقه الصراع والمغالطات والمبررات في الاختلافات العقدية والفقهية لإشعال الفتنة المؤدية إلى الحروب والبغضاء والحقد والهلاك.

وقد اعتنى النبي ﷺ بعلم الحصانة والعدول منذ مرحلة مكة المكرمة، وكان همُّه الأول بناء الأوعية الحاملة للأمانة، وجاء القرآن يؤكد هذا المطلب ويصف أهل الحصانة والعدالة بما يناسبهم من الإشادة والمدح والثناء الذي لا ينقطع ولا يتحول، فمن الحصانة ما شملت:

* **الأفراد**: كأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الغار: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٩١١).

حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠] .

* ومنها ما شمل **الجماعة** : كأصحاب الشجرة وأهل بدر وأهل البيت الأطهار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما ورد في حديث : «**في كل خَلَفٍ من أمتي عدولٌ من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ألا وإنّ أَئِمَّتَكُم وَفْدُكم إلى الله فانظروا بمن تَفِدُون**»[1].

* ومنها ما شمل **المرحلة والزمن** : كالسابقين للإسلام في المرحلة المكية ، والسابقين للهجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وما ترتب على فتح مكة من انتهاء مرحلة الهجرة بنص قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**لا هجرةَ بعد الفتح ، ولكن جهادٌ ونيةٌ..**»[2].

ويدخل في حصانة المرحلة مسمى «**السلف**» الذين عاصروا القرون الثلاثة الأولى.. ويتفق المعنى الخاص بالسلف كرتبة من مراتب الخيرية والأفضلية عند تلك القرون باعتبار المرحلة ، ولا ينطبق حكم أولئك على من سمى نفسه أو جماعته بالسلف في العصور الأخيرة ، بل ولا ينطبق المسمى الشرعي على من ادعى السلفية في القرون السابقة ممن لم يدرك القرون الأولى ويُطْلِقُ على نفسه الاختيار الاسمي انتحالاً ودعوى لا دليل عليها ، بل ولا يشفع لها في علم الأصول وأحاديث الرسالة نص ولا بيان ، بل ربما دخلت في علامات الساعة وظواهر مضلات الفتن التي أكد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على بروزها وظهور علاماتها في عصور الغثاء والوهن والتداعي.

وهناك ارتباطٌ وثيقٌ بين مسمى «الحصانة والعدول وتسلسل الأسانيد ، وبين دلالات السلامة والأمانة والوراثة الشرعية ، فكلا الصفتينِ متلازمتينِ في الحياة

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للطبري (١/ ١٧) .

(٢) صحيح البخاري (٢٧٨٣) (٢٨٢٥) ، وصحيح مسلم (١٨٦٤) .

الإنسانية ، ويخرج عن هذه الدائرة النصية أهلُ النفاق الذين وردتْ دلالاتُ نفاقهم وأهلُ الإرجاف ومرضى القلوب سواء بالنص أو بالدلالة أو المواقف.

وفي فقه علامات الساعة وفقه التحولات العديد من نماذج الطعون في أهل النفاق والمفسدين في الأرض ، والمعلولين بعلة الفسق أو الكفر أو التعاون معهم ضد الديانة الإسلامية ، مما ينزع عنهم صفة الحصانة ، ويدين حملهم للأمانة ، ويرد كيدهم في نحورهم ، ويكشف كنه توجههم القلبي في خدمة الدجل والدجاجلة.

وقد ورد أن أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا يَتَحَرَّوْنَ أمناءَ منابرِ الحكم والعلم ، فلا يُوَلُّونَ أحداً في سلوكه مطعنٌ أو مغمزٌ أو دَخَنٌ.

ويأتي تسلسل الحصانة والعدالة مبتدئاً من عصر الرسالة بين مرحلتي مكة والمدينة ، ثم ينتقل إلى كل مرحلة بشروطٍ تجمع بين ما كتبه علماء الجرح والتعديل في علم الأصول ، وبين ضوابط السند والعدالة في فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة ، ومن لم يجمعْ بين الضابطين الشرعيين اختل عليه مقياسُ الحصانة والعدالة.

فالذين جعلوا ثمرات علم الأصول وحدها ضابطاً للعدالة والأسانيد نزعوا بأنفسهم نحو المنافسة مع جملة من علماء المذاهب ، الحاملين دعوى الحصانة والعدالة بدراستهم للعلم الشرعي وتلقيهم ثوابته بالتحصيل والنقل المعرفي ، كالخوارج والمعتزلة الغلاة والشيعة الغلاة والقرامطة الغلاة ، وعلماء السلطان في مراحل الملك العضوض وعصر شتات القرار الإسلامي الواحد ضمن الدويلات ، وقد كان لهؤلاء الأئمة المضلين صولةٌ وجولةٌ في خدمة القرار الإسلامي حكماً وعلماً وفق سياسة الملك العضوض وما تفرع عنه.. وبهم دون غيرهم على مدى تاريخ الأمة اكتسب

الشيطان القدرة على تمزيق العالم الإسلامي حكماً وعلماً وعلاقات.

ولأجل سلامة المراحل من هذا الغي المبرمج ضحى عددٌ من أئمة الدين العدول بالقرار والسلطان.. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الإرث الشرعي القائم على الحصانة والعدالة بضمان السلامة والحرز من الفتن لحملة المنهج النبوي الأبوي المسند، كما فعل الإمام الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في تنازله عن الخلافة، وكما فعل الإمام علي زين العابدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مجانبة الفتنة والصمت عن ثأر أبيه الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سبيل إنقاذ العلم الشرعي المسند والاهتمام به، والتصدر في واقع الملك العضوض لنشر أسانيده وخدمة رجاله الأتقياء، مع مهادنة الحكام طلباً للسلامة، وإنجاحاً لمشروع الحفاظ على منهج الحصانة والعدالة في أهلها.

وأئمة أهل البيت كلهم عدولٌ ووَرَّاثُ حصانةٍ وأمانةٍ، سواءً من سَلَكَ طريقَ المهادنة مع الحكام، أو من خرج باجتهادٍ أو بيعةٍ عليهم، ويلحقُهم في هذا الحكم من أخذ عنهم وتبعهم بإحسان من غير تدنيسٍ ولا تسييسٍ، والتدنيس والتسييس يقدح في الحصانة والعدالة ويتعارض معها.

إنَّ هذا القسم من أقسام علوم فقه التحولات يحفظ لآل البيت الأطهار ولأصحاب النبي الأخيار شرف حصانتهم وعدالتهم خلال مراحل التحولات الأولى، ويحميهم من تطاول الألسنة والأقلام التي استمرأت اللعن والطعن والهمز والغمز واللمز جيلاً بعد جيل ومرحلة بعد أخرى، ويفنِّد الأقاويل الباطلة والأضاليل الزائفة ويضعها في موقعها من التاريخ وأحداثه ومن الدين ونصوصه، فأحداث التاريخ قضاء وقدر ومسؤوليات مشتركة بين وظائف جند الرحمن وجند الشيطان.

أما النصوص الشرعية فضابطٌ مُمَيِّزٌ بين القضاء والقَدَر المسلَّم به وله، وبين

تدخلات حزب إبليس اللعين ومواقع أثره وتأثيره في قرار الحُكم وقرار العلم وقرار الاقتصاد وقرار المعرفة والقيم والسلوك ، بل وإدانةٌ صريحةٌ للشّر وأهله ، وإشادةٌ بالخير وأهله.

ومهما كانت مجريات الأحداث فهي ليست حكماً قطعياً على ذي حصانة وعدالة ، وللصحابيِّ العَدْلِ المحصَّنِ مَنْدُوحَةُ الاجتهادِ في فعله وتركه ، ولا قادحَ عليه في اجتهاده ، سواءً أصاب أم أخطأ ، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

وقد أطَلْنا النَّفَس في مقدمة حديثنا عن الحصانة والعدالة ، وهانحن نلخص ما بلغنا إليه من نماذج الحصانة وأمثلتها فيما يلي:

١- حَصَانَةُ ذَوَاتٍ

وتشمل الفضائل والمناقب التي تخص كل فرد بذاته ، مما جرى على لسان رسول الله ﷺ ، وقد اعتنتْ كتبُ الحديث الشريف بهذا الباب ، وجعلت لكل صحابي ما تميز به من الفضائل ، وكذلك فضائل آل البيت الأطهار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فرداً فرداً رجالاً ونساءً.

٢- حَصَانَةُ فِئَاتٍ

وتشمل المناقبَ المجتمعةَ لكل فئةٍ شاركتْ أو تميزت بفضائلها الخاصة على عهد رسول الله ﷺ ، كالسابقين للإسلام والمهاجرين والأنصار عموما ، وفيهم نزلتْ الآية: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٧] ، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾[النمل:٥٩] ، قال ابن

عباس وسفيان: (هُم أصحاب محمد ﷺ)[1]، وأصحاب بيعة الرضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفيهم قال ﷺ: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد**»[2] وأهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفيهم قال ﷺ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجزم، ولفظه: «**لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[3]، وآل البيت الأطهار بعمومهم وأهل الكساء بخصوصهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣- حَصَانَةُ مَرَاحِل

وتشمل كل مرحلة ورد فيها نصٌّ خاصٌّ أو عامٌّ يميزها ويحفظ شرفها وسلامتها بوجه من الوجوه التالية:

أ- مَرْحَلَةُ الرِّسَالَةِ

وحصانتُها بالوحي والعصمة والمعجزات وأخلاق النبوة.

ب- مَرْحَلَةُ الخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ

وحصانتُها بالاجتهاد ونصوص النبوة عن المرحلة والخلفاء وبموقف الخلفاء أنفسهم.

جـ- مَرْحَلَةُ المُلْكِ العَضُوضِ

وهي مرحلةٌ مدانةٌ من حيث موقع القرار؛ ولكنها متنوعة الحصانة من حيثيات أخرى، ومنها:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، راجع فقه الفتن للإدريسي ص ٩٣.

(٢) صحيح مسلم (٢٤٩٦)، ومسند أحمد(٢٧٣٦٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٠٠٧) (٤٨٩٠) «صحيح مسلم» (٢٤٩٤).

١ – وجود الخلفاء الراشدين المهديين من آل البيت وأئمة الدين في حياة الشعوب في صدارة العلم والسند والأخلاق.

٢ – حفظ بيضة الإسلام وسلامة حدود الدولة الإسلامية من اختراق العدو وتدخلاته.

٣ – قيام فرض الجهاد في سبيل الله وانتشار الفتوحات في العالم، وثبت في الصحيحين عن أم حَرَامٍ بنت ملحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البحرَ قد أوجبوا**»، قالتْ أمُّ حَرامٍ: قلت: يا رسول الله.. أنا فيهم؟ قال: «**أنتَ فيهم**» ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أول جيشٍ من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفورٌ لهم**»، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**»[1]، وكان هذا الأمر في سنة سبع وعشرين من خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوفيت أم حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذه الغزوة وكانت مع زوجها عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما الثانية فكانت في سنة اثنين وخمسين في أيام معاوية.

د – مَرْحَلَةُ الدُّوَيْلَاتِ وَالتَّمَزُّقِ

وهي مراحل غزو التتار والحروب الصليبية التي مزقت بلاد العالم العربي والإسلامي، وافتقدت الأمة فيها شروط الحصانة العامة في قرار الحُكم.

وبقي المظهر العلميُّ والشرعيُّ قائماً بالحد الأدنى من الحصانة للمسلمين في بعض البلاد العربية والإسلامية كمظهر الأزهر بمصر والحرمين الشريفين في الحجاز وبيت المقدس بالشام ومدرسة

(١) صحيح البخاري (٢٩٢٤).

حضرموت باليمن ، باعتبارها مدارسَ شعبيةً غيرَ مسيَّسةٍ ، حتى عودة قرار الخلافة بالدولة العثمانية ، وهي التي أعادت الحصانة السياسية في القرار الواحد ، ومن ثم أعادتْ حصانةَ الحكم والعلم ووحدة بيضة الأمة الإسلامية بقيام فريضة الجهاد في سبيل الله ، حتى كان شعار الخلفاء في عهدهم:(إما غازٍ.. وإما شهيدٌ..) ، حتى مرحلة الضعف والانهيار ، وكانت آخر مراحل الحصانة في قرار الحكم والعلم مرحلة السلطان عبد الحميدالثاني رحمه الله تعالى.

وأما المراحل التي لا حصانة لها فـ:

هـ - المَرحَلَةُ الغُثَائِيَّةُ

وهي المرحلة التي سقطت فيها كافة الحصانات الشرعية في مستوى قرار الحكم وقرار العلم ، ولم يبق فيها غير الحفظ العام الموعود من عند الله للأمة وللقرآن ، على أيدي بعض العلماء والصالحين وشيوخ السند والعدالة من أهل البيت النبوي والمرتبطين بهم ، دون الانطواء في الأنظمة والدول المسيَّسة مع اختراق العدو كافة شؤون الدين والدنيا بسياسة العلمانية بادئ ذي بدء ، ثم مرحلة العلمنة ، ثم مرحلة العولمة ، وقد تناولنا الحديث عن هذه المراحل في كتاب المنطلقات.

ز - مَرَاحِلُ الانْهِيَارِ وَالدَّمَارِ

وهي المراحل الأخيرة من حياة البشرية ، وتبدأ بموت عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى نهاية الكون ونفخ إسرافيل في الصور ، وهي المراحل التي يظهر فيها الشرك جلياً بكل أنواعه ونماذجه وخاصة في جزيرة العرب.

فقه علم مستجدات العلوم النظرية والتطبيقية وجديد الثقافة والمعارف السلبية والإيجابية وما يخص الإعجاز العلمي

وتأتـي علاقـةُ هـذا العلم بفقـه التحـولات والعلـم بعلامات السـاعة في كـونِ هذا العلـم مرتبطاً بالجانب الحياتي ، وقاسـماً مشـتركاً مع كافة الأمم والشعوب في العالم ، ومن خلال التقدم العلمي فيه رَكِبَتِ المدرسةُ الماديةُ رأسَـها فـي محاربة الغيبيـات ورفض القيـم والأخلاق الشـرعية المدعومة بالوحـي الرباني ، ونفتِ العلاقةَ بيـن الوحيِ والنبوة مـن جهةٍ ، وبين العلمِ النظريِّ الماديِّ ومكتسباته من جهة أخرى.

واسـتملح العديـد مـن مثقفي مرحلـة العلمانيـة والعلمنـة والعولمة هذا الفصـلَ المتعمدَ ، وبنـوا عليـه الحكـمَ القاطـعَ بجمود النصوص الشـرعية وفقرهـا عن المسـألة العلميـة الماديـة ومنجزاتهـا ، بل حدد البعـضُ منهم أن العلـمَ الشـرعي علـمُ مرحلةٍ انتهـى بانتهائها ، ولـم يعد صالحـاً للعصر الحديث ومقروءاته المسـتجدة ، وخاصة عند تبني بعض المفكرين العرب والمسـلمين النظريـة المادية الشـيوعية الإلحادية ، كعامـل اقتصادي ملائم لمعالجة النظرية الرأسمالية الربوية.

وكان هـذا التبنـي العقيـمُ ناتجـاً عـن ضَعفِ علاقة المسـلمين بالإسـلام وعالميتـه الشـرعية ، واهتزازِ البُنيـة التعليمية والتربويـة والثقافية في الوطن الإسـلامي خـلال المرحلـة الغثائيـة المسيَّسـة ، ولهذا فـإنَّ مجمـوع هـذه

العوامل السلبية مع إهمال العلماء الأصوليين للركن الرابع من أركان الدين حـول الأمر كَـوَّنَ كارثةً فكريـةً في العالـم المعاصر ، وفتح المجال واسـعاً للمستشـرقين ومُفكِّـري العلمانية أن يعبثوا بالإنسـانية عموماً وبالمسـلمين خصوصاً ، بعـد أن امتلكـوا ناصيـة التعليـم والثقافة.. يقلِّبونهـم بين الفكر الرأسمالي والفكر الشيوعي والفكر التوليفي والفكر الاستسلامي الانتقائي الانتمائي المُعَلمَن[1] ، ويغيب الإسلام الصحيح من الساحة بعمومها ما عدا قشـور المعرفة التي يمارسـها العوام وأشـباههم ، وقليل من قليل الطقوس الأبويـة التقليدية المحصـورة في الزوايـا والمناسـبات والزيارات ، وإقامة الحد الأدنى من العبادات والطاعات.

إنَّ ربطنـا بين علم مراتب شـؤون الحياة ومُسـتجداتها وبيـن الركن الرابع من أركان الدين ، ووضع النظريات العلمية وآليات التطبيق ، مع مستجدات الثقافة والعلوم الإيجابية والسلبية ، في إطار القاعدة الشرعية لفقه التحولات ؛ إنَّ هـذا الربـطَ يحوِّل كافة ثمـرات هذه العلوم من قنـوات الكفر والإلحاد إلـى قنـاة الديانة الشـرعية ، ويضع (المفاهيم المادية النظريـة) تحت مراقبة الأصلين الشرعيين: الكتاب والسنة.. ويُبرِزُ الإسلامَ رائداً للحركة الصناعية والزراعية والتجارية والثقافية والإعلامية.. إلخ.

ويُعيدُ الاعتبارَ الشرعيَّ للنص القرآني الآذِنِ ببدءِ انفتاحِ المرحلة الإنسانية للعلـم النظـري التطبيقي ، إلى جانب الإذنِ ببدء انفتاح المرحلة الإسـلامية

---

(١) المقصود بالفكر الانتقائي العلمني ما تقوم به بعض مناهج المدارس الحديثة من تدريس الأجيال العلم أو التعليم مفصولا عن التربية ، والتربية مفصولة عن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتغييب مهمات الغايات العليا للأمة الإسلامية من وحدة الشعوب بالديانة ، وتكريس القومية العصبية والإقليمية والقبلية ، وتفكيك علاقة الأمة ببعضها البعض تحت مبدأ « فَرِّق تَسُد ».

للعلـم الغيبـيِّ الديني ، بأولِ آيـاتٍ قرآنيةٍ نَزَلَتْ على قلـب النبي ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[العلق:١-٥].

وبهـذه الآيات بـدأت مرحلة القراءة الإنسـانية الشـرعية حضـارةً وديانةً: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] ، وصـار الإسـلام راعيـاً ومهيمنـاً على الأمـر كله ، وانقطـع الكفرُ عِلماً وتطبيقاً وحداثةً ، وصار الإسـلامُ رائدَ العلوم وقانونَ الدول وأسـاسَ الحضـارات..﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[آل عمران:٨٥].

فالإسـلامُ أصلُ حوارِ الحضارات وتقاربِ الأديان ، والوحيُ المنزلُ على نبينـا محمـد ﷺ وما أنزل على الأنبياء من قبل هو القاسـم المشـترك في لغة البنـاء للأمم والشـعوب ، والقرآن العظيم في لغته العالميـة مُجَدِّدٌ ومُصَحِّحٌ لكل ما أشكل على أهل الكتاب في شأن فهمهم السقيم ، وتفسيرِهم البِدعيِّ العقيم ، ويلـي ذلـك سـنة النبي ﷺ في تحديـد معالم النجـاة لأهل الكتاب ومعاملة المسلمين لهم في المنشط والمكره إلى يوم الدين .

وأمـا توليفـاتُ أهـل الكتاب وتحريفاتهـم ومـا فسـروا بـه عقائدهـم ودياناتهم ؛ فكفـرٌ ومروقٌ عن الديانات السـماوية منذ العهود السـابقة لبعثة النبي ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، وما سـيليه وحتى نزول عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عالم الأرض ، وإعادته شـرف الارتباط بين الرسـالات السـماوية ، وربطها بشـريعة الإسـلام الخالدة ، وإبطال الإفـك والدجل المصنَّع الـذي تتجرعه الشـعوب الإنسـانية والإسـلامية عـن الحضـارات وحـوار الأديـان وأمـن الشعوب الكاذب.

وتنتفي بالإمام المهديِّ لعبةُ الدجاجلة والسماسرة النفعيين في عالم الإسلام والمسلمين، كما تنتفي من بعده بعيسى عليه السلام هيمنةُ الدجال وسياسةُ الصلبان وتحريف الرهبان من اليهود والنصارى، كمثالٍ من أمثلة العدالة والحق وسيادة سلطة الشريعة الربانية في الأرض في المرحلتين المهدوية والعيسوية، أما قبل ذلك فلن يكون في عالم الإنسانية غير الجور والظلم وسياسة النقض والقبض والتحريش والمنافسة.

وبمثل هذا التحليل والتعليل الشرعي وفق ما جاءت به نصوص فقه التحولات وأحاديث العلم بعلامات الساعة ندرك أهمية القراءة للركن الرابع من أركان الدين في حديث جبريل عليه السلام، وأنَّ قُرْبَ الأمة من هذه العلامات وبروزها أمرٌ يحتاجُ إلى الإفصاح والبيان.. ﴿..لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ..﴾[الأنفال:٤٢].

ولتأصيل هذا القسم وربطه كما أشرنا سابقاً بفقه التحولات نشيرُ إلى الاستدلال النصيّ من كتاب الله:

- ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[العلق:١-٥]، في الآية إشارةٌ إلى ما سينفتح بالقراءة في العالم الإنساني من شؤون الاختراع والاكتشاف في العلوم النظرية، وأن طريق العلم هو «القراءة»، وأن القرآن من علم الله الذي علم الإنسان بعمومه وليس مخصوصاً للمسلم، وقول: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أي: ما لم يحط به من ظواهر المعرفة التي تبرز بالتجربة والبحث والاستكشاف وعمق التأصيل والقراءة.. إلخ.
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾[يونس:٢٤]، في الآية إشارةٌ إلى تمام صفة القراءة

المستجدة الحديثة حتى تبلغ نهايتها على أيدي أهلها في عالم الكفر والإلحاد.. وسيكون مآل أولئك بعد صرفهم آيات الله ومواهبه التي منحها لهم للشيطان والكفر والدجل أَنْ أَنْذَرَهُم بالهلاك والأخذ المفاجئ.

- ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[يس:٣٦-٤٠]، في الآية الكريمة سردٌ وشرحٌ مجملٌ لنظام الحياة كلها نباتاً وإنساناً، وما لم يعرف لدى الإنسان من علوم الخلايا والميكروبات والفيروسات وما شاكلها من دقائق نماذج الحياة المجهولة من القِدَم إلى اليوم.. وأن تقدم الحياة العلمية كأداة وثمرة من ثمرات العقل المخلوق سَتُبْرِزُ للأمم هذه العلومَ وتعليلاتِها بما لا يعلمه الجيل اللاحق.

وبهذه الآيات - وبغيرها من عشرات أمثالها - يندرج العلم النظري والتطبيقي وكافة مستجدات الثقافات إيجابيةً أو سلبيةً تحت دائرة النص القرآني، الذي أخبر إجمالاً حيناً وتفصيلاً حيناً آخر عنها وعن ظهورها وأثرها، وما سيترتب على بروزها من تمردٍ وعصيانٍ وطغيانٍ وتوظيفٍ لها في غير ما خُلقتْ له، وبأيدي الكفرة والسحرة والمردة والعصاة، وأنَّ المصير النهائي للجميع هو النار إلا من آمن واتقى وعَمِلَ صالحاً ثم اهتدى.

وقد خَدَمَ هذا الباب في أصوله جملةٌ من العلماء المتأخرين ممن تخصصوا في الربط بين العلوم النظرية والقرآن والسنة.. وصارتْ كتبُهم

وتفسيراتُهم تملأ المكاتب والأسواق تحت مسمى الإعجاز العلمي ؛ إلا أنهم لم يربطوها بالركن الرابع من أركان الدين ، ولم يدرجوها في قراءتهم للأحاديث الشرعية بفقه التحولات ، فصارت أشبهَ بالمعلومات الإعجازية العامة التي لا ترتبط بسند مسلسل وجذرٍ شرعي متماسك ..وكأني بفقه التحولات وموضوعات الربط بالركن الرابع جديرةٌ بالمعنى القرآني.. ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص:١٣].

علم الأشراط الكونية والتحولات الحياتية والملاحم

أ ـ الأَشْرَاطُ

الأشراط جمع شِرْطٍ ، والشِّرْطُ لغةَ العلامةُ ، والعلامة في فقه التحولات: هي الظاهرة الكونية الجارية بأمر الله وفق ما أخبر عنه المصطفى من الأحاديث الاستباقية ، وصِفَتُها: أنها ليست ثابتةَ الحدوث ، وإنما هي خرقٌ لمعتاد القوانين الكونية مرتبطةً بزمان أو مكان أو حدث مُعيَّن ، كظاهرة من ظواهر العلامات الكبرى أو الوسطى أو الصغرى.

وتنقسم إلى أقسام:

الأَوَّلُ: عِلْمُ الأَشْرَاطِ الكَوْنِيَّةِ الاَسْتِبَاقِيَّةِ

وهو الفقه الخاص بدراسة علوم الأشراط والعلامات الكونية المخالفة لمجريات القوانين الطبيعية المعتادة ، كمثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾[التكوير:-١٥] ، ومنها ما ذكره ﷺ في الأحاديث ، كطلوع الشمس من مغربها والدخان والريح القابضة والخسوفات الثلاثة والنار الحاشرة والمسخ والقذف ، وما ماثلها من الكوارث الطبيعية كالأعاصير والبراكين والزلازل.

منها قوله ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان خسفٌ وقذفٌ ومَسْخٌ**» قيل : ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظَهَرَتِ المعازفُ والقَيْنَاتُ واسْتُحِلَّتِ**

الخَمْرُ»[1].

وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**إذا فَعَلَتْ أُمَّتي خَمْسَـةَ عَشَـرَ خَصْلَةً حَلَّ بها البلاءُ**»- وذكر منها: «**و شُـرِبَ الخمرُ، ولُبِـسَ الحَرِيرُ، واتُّخِذَتِ القَيْنَاتُ والمَعَازِفُ، ولَعَنَ آخِرُ هذه الأُمَّةِ أَوَّلَها، فَلْيَرْتَقِبُوا عند ذلك رِيحاً حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفاً وَمَسْخاً**»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**والذي بَعَثَنِي بالحَقِّ لا تَنْقَضِي هـذِهِ الدُّنْيَـا حَتَّى يَقَـعَ بِهِمُ الخَسْـفُ والقَذْفُ والمَسْـخُ**» قالـوا: ومتى ذاك يا رسـول الله؟ قال: «**إذا رأيتَ النِّسَاءَ رَكِبْنَ السُّرُوجَ وَكَثُرَتِ القَيْنَاتُ، وفَشَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ، واستغنى الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساء**»[3].

الثَّانِي: عِلْمُ الأَشْرَاطِ الحَيَاتِيَّةِ الاسْتِبَاقِيَّةِ

مـا يجري من تحولات الأمم الاجتماعية والسياسـية، ومنها ظهور الإمام والدجال وعيسـى ويأجوج ومأجوج والدابة وهدم الكعبة ورفع القرآن، وما ماثل ذلك من العلامات والأشراط المتنوعة.

الثَّالِثُ: عِلْمُ الأَشْرَاطِ الاسْتِقْرَائِيَّةِ

وهـي ما أجـراه الله من الآيات في الأمم السـالفة وجعل لها من العلامات ما كان معلوماً لدى تلك الأمم بإنذار أنبيائهم، مثل قوله تعالى عن قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ

(١) المعجم الكبير للطبراني (٥٨١٠).
(٢) سنن الترمذي (٢٢١٠).
(٣) مسند البزار (٨٦٣٦).

﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٤-٢٥].

وما ورد عن قوم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في نصوص الأحاديث عن علامة سبقت العذاب بإنذارهم باصفرار واحمرار واسوداد وجوههم قبل العذاب بثلاث أيام ، فلما تيقَّنوا صدق ما أنذرهم بهم نبيهم بحثوا عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يجدوه لخروجه عن أرضهم ، فاجتمعوا وتابوا وأنابوا فكشف الله عنهم العذاب ، ووصف الحق سبحانه هذا الموقف بقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[يونس:٩٨].

ب- المَلَاحِمُ

جمع ملحمة ، وهي الحروب الطاحنة التي تلتحم فيها الجيوش ويكثر قتلاها وضحاياها ، وتُطلق غالباً على الحروب بين المسلمين والكفار ، ومنها حروب الفتوحات التي خاضها المسلمون مع الفرس والروم في عهد الخلافة الراشدة وفي مرحلة الملك العضوض الأولى والثانية ، وما جرى من الحروب الكبرى بين الدولة العثمانية والدول الأوربية وما سيأتي من لاحق الحروب الموعود بها في عهد السفياني والمهدي والدجال وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويؤيد ذلك : «**يُوشِكُ أَنْ يَخْرُجَ البَحْرُ الشَّرْقِيُّ حَتَّى لا تَجْرِيَ فيه سَفِينَةٌ ، وحتّى لا يَجُوزَ أهلُ قَرْيَةٍ إلى قَرْيَةٍ ، وذلك عند الملاحم، وذلك عِنْدَ خُرُوجِ المَهْدِيِّ**»[1] قال شارحه : وهو مقطوع من كلام كعب الأحبار، وإسناده حسن.

وحديث : «**عِمْرَانُ بَيْتِ المَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ**

(١) السنن الواردة في الفتن للداني (٤٩٤) .

المَلْحَمَـةِ ، وخروجُ الملحمةِ فتحِ القسـطنطينيةِ ، وفَتْحُ القسـطنطينيةِ خُرُوجُ الدَّجَّـال» ، قـال : ثـم ضـرب النبـي ﷺ علـى فخـذ معـاذ أو منكبـه وقـال **«إن ذلـك لَحَـقٌّ كمـا أَنَّك هاهنـا ، أو كما أنت قاعـد»**[1] قال الشـارح : وهو حديث حسـن ، قال ابن الأثير : الملحمة هـي الحرب وموضع القتال ، وقال الجوهـري : (الملحمةُ الواقعةُ العظيمةُ فـي الفتنة) ، قال صاحب كتاب «فقه الفتـن» ص٣٢ : وهـذه الأقوال تجعـل الملاحم مفهومة واضحـة ، الأول : موضـوع القتال ، ويكـون اشـتقاق الملحمة بهـذا الاعتبار من لَحِـمَ المكانَ يَلْحَـمُ لحماً إذا نَشَـبَ فـي المكانِ وأَلْحَمَ بـه ، الثاني : هو الحـربُ العظيمةُ القتـلِ أو الواقعـةُ ذاتُ القتالِ الشديد ، مشـتقة من اللُّحْمَةِ ، لاشـتباك الناس واختلاطهم فيها .اهـ.

أَحَادِيثُ المَلَاحِمِ

قال الدكتور المباركفوري في مقدمته على تحقيق «السنن الواردة في الفتن» للدانـي[2] : قد كثرت الأحاديـث الواردة في ذكر الملاحـم المرتقبة ، ولكن هـل هـذه الأحاديـث كلهـا صحيحـة؟ والجـواب لقـد صحـت فيها أشـياءُ كثيرةٌ ، ولذلـك عقد لهـا البخاري كتاباً مسـتقلاً في صحيحه ، وسـاق تحته أحاديـثَ مرفوعـةً مثيـرةً تتعلـق بالتفسـير والمغـازي ، فكذلـك الحـال في الملاحـم ، إلا أن الثابت مما ورد فيه من أحاديثَ قليل نسـبياً ، أما الأحاديث التي وردت في ذكر الملاحم ولم تصح سـنداً فقد بَيَّنَهَا المحدثون وكشـفوا عن زيفها ، كما بينوا زيف الأحاديث الأخرى المتعلقة بغير الملاحم .

وعلـى هذا فيبطل القـولُ بأنه لم يصح في الملاحم أو فـي المغازي أو في

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩٤) و«مسند أحمد» (٢٢١٢١) .

(٢) ص٥٦ – ٥٨ باختصار وتصرف.

التفسير شيءٌ ، بل يجب التفصيل بين ما صح منها ومالم يصح ، وبهذا يزول الاشكال.

الِاْخْتِلَافُ فِي تَعْرِيفِ المَلَاحِمِ

قال المباركفوري في تحقيقه على سنن الداني : وفي الأحاديث الصحيحة في الباب – أي: باب الملاحم – حديث أبي هريرة في حسر الفرات عن جبل من ذهب ، وسببه إيراد المؤلف للحديث في هذا الباب هو الإشارة إلى ما ورد فيه من ذكر الاقتتال بحيث لا ينجو من كل مئة إلا واحد ويقتل الباقون ، فتلك ملحمة عظيمة؛ إلا أن عَدَّ ذلك في الملاحم خلافُ ما ذكره المؤلف في معنى الملاحم ، لأنها خُصت بما يقع بين المسلمين وأعدائهم اليهود والنصارى وغيرهم من حروب واقتتال كما سبق تفصيله.

قلتُ: ويبدو أن كلمة (الملاحم) تشمل التعريف بالحروب الكبرى سواء كانت بين المسلمين والكفار – وهي الأصل – أو بين المسلمين أنفسهم ، كما وصفتْ ذلك٥ جملة من الأحاديث ، منها أن: «تكون ملحمة بمِنًى يكثر فيها القتلى وتسيل فيها الدماء ، حتى تسيل دماؤهم على الجمرة ، حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره ، ويقال له: إن أبيتَ ضربنا عنقك ، يَرْضَى به ساكنُ السماء وساكنُ الأرض»[1]. اهـ. وكأنَّ ذلك الخبر عما سيكون من الفتن والملاحم ، فالملاحم : الحروب التي بين المسلمين والكفار ، والفتن : ما يكون بين المسلمين .

(١) تحقيق سنن الداني الجزء الثالث ص (٩٣٤).

علم الربط بين الديانة والتاريخ

ويرتبـط هـذا العلم بفقه التحـولات من حيث كونه علماً يربـط بين القراءة التاريخيـة عموماً وبيـن الديانة ، ويجعل الأديان الشـرعية وما جاءت به هي أساسُ كتابة علم التاريخ.

وأصـل هذه الدراسـة قائـمٌ على «الكتاب والسـنة» في شـرعنا باعتبارهما مصـدري التشـريع والقراءة العالمية لشـؤون الغيب وشـؤون الحياة حاضراً ومسـتقبلاً وكذلك ماضياً ، وكلُّ رسـالة سـماوية يبلغها نبي من الأنبياء تأتي داعمـة لمـا قبلها ، ومصححـةً خطـأ العقل البشـري فـي فهـم النصوص أو تعطيلها أو تحريفها.

ولأجل هذا الأمر يأتي كتابنا القرآن العظيم مؤيداً لما سـبق من الرسـالات ومُدِيناً ودامغاً انحرافَ الأتباع من الأمم للرسل ، كما تأتي السنةُ أيضاً مفسِّرةً ومفصِّلةَ لما أُبهم من تلكم العلاقةِ الشرعية ، وخصوصاً في ركنها الرابع من أركان الدين ، وهو العلم بعلامات الساعة ، وهو العلم الذي يأتي من أقسامه إعادة الربط الواعي بين مسيرة التاريخ وموقع الديانة.

وأهـم مـا يتناوله هـذا العلم الشـرعي التمييز بين القـراءة النبوية الشـرعية للتاريخ والقراءة الأنوية الوضعية ، وخصوصاً فيما يلي :

١. التفسير الشرعي لمنطلق التاريخ الإنساني وتطوره.
٢. أصل بَدءِ الخليقة من الوجهة الشرعية.
٣. فلسـفة التاريخ المادية وعلاقتها بالمدرسـة الأنوية الوضعية العقلانية المجردة.
٤. دحـض النظريـات الماديـة وإثبـات موقعهـا العلمـي التجريبـي فيما

يخصها.

٥. فلسفة النهايات للكون والحياة والإنسان وموقع علوم الآخرة من الحياة الإنسانية.

إنَّ سلامة القراءة التاريخية من وجهة نظر فقه التحولات باعتباره قسماً من أقسام العلم بعلامات الساعة وجزءاً لا يتجزأ من أركان الدين يربط بين طرفي المرحلتين:

- مرحلة اختيار آدم وذريته للخلافة في الأرض، وتعليمه الأسماء، وسجود الملائكة له، وسكناه الجنة، وتكليفه بما كلف به من الشرع الشريف والعلم المنيف من جهة.
- ومن جهة أخرى ابتلاء الشيطان بالمعارضة لآدم وما ترتب على ذلك من ظهور المدرسة الأنوية بقوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [ص:٧٦]، وظهور الكفر برفضه السجود ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] وتقريره على نفسه احتناك الذرية الإنسانية على مدى التاريخ الإنساني إلى يوم يبعثون[١]، فهناك إرادةٌ تاريخيةٌ ربانيةٌ على لسان آدم ومن اهتدى من ذريته، وبهم يكتب تاريخ الأبوة الشرعية، ومادته الرسالات السماوية، وهناك غوايةٌ تاريخيةٌ شيطانيةٌ جاءت على لسان إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩].

---

(١) كان هذا هو مطلب الشيطان يوم أبى السجود لآدم، إلا أن الحق سبحانه وتعالى لم يحقق مطلبه القائل فيه: ﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ وحسب، بل قال له: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾، والوقت المعلوم هو الوقت الذي قدَّره الله في علمه.

وبهـذه المدرسـة ومـن تبعها من البشـرية كُتِـبَ التاريخُ المـاديُّ الوضعيُّ العقلانـيُّ المجرد عـن الغيـب والإيمـان بمـا وراء الطبيعة ، وهـو نـوعٌ من الاسـتتباع للشـيطان ، وهذا الاسـتتباع الشـيطاني موصـوفٌ في كتـاب الله تعالـى بقولـه: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء:٦٣-٦٤] ، وبهـذا الاسـتفزاز المقرر اسـتقطع الشـيطانُ جـزءاً من وعي البشـرية نحو التفسيرات المادية الوضعية العقلانية المجردة التي لا حجة لها عند الله .

أمـا مـن جهة أخرى فقد اعتنى القرآن والسـنة بربط الديانـة بالتاريخ وربط التاريـخ بالديانة ، وبهمـا ـ أي: بالقرآن والسـنة ـ تسـتقيم القـراءة الصحيحة للحياة الإنسانية كلها ، ولا مكان لتحريف أهل الكتاب ولا لغيرهم من حملة النظريات الإنسـانية العقلانيـة المجردة عن الديانة ، سـواء في ماضي تاريخ الأمم والشـعوب أو لاحقها ، فالدين الإسـلامي في ركنـه الرابع قد فرغ من المسألة وأعطاها حقها المناسب[1] .

وهنـاك نصـوص متعـددة نقلهـا بعـض العلمـاء والباحثيـن عـن الكتـب السـماوية القديمة تؤيد صحة ما جاءت به الرسـالة الخاتمة من ربط التاريخ بالديانة ، وتدحـض التحريـفَ النصيَّ الـذي افتراه أهل الكتـاب وما يروِّجه اليهود المحرفون والمنحرفون من تهويدٍ للتاريخ وتزييفٍ لحقائقه ، وتُمكن الاسـتفادةُ منها والاسـتئناس بها تحت قاعـدة «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ ولا حَرَجَ»[2] .

---

(١) راجع هذا الموضوع في كتابنا «دوائر الإعادة ومراتب الإفادة» ص٣٩ - ٤٧ .
(٢) البخاري (٣٤٦١) .

عودٌ على بدءٍ

يليـق بنـا بعد تناولنا لأقسـام العلـوم الخمسـة ذات العلاقة المباشـرة بفقه التحـولات أن نعـرف موقعهـا مجتمعـة تحـت مظلـة المتغيـرات الثلاثـة ، المعروفة بأقسام العلم بعلامات الساعة:

١ – العلامات الكُبرى

٢– العلامات الوسطى

٣– العلامات الصُّغرى

حيـث إنَّ مادة هـذه العلوم الخمسـة تنبع من نهـر العلامات المشـار إليها بالمتغيرات ، وهي في مسـيرتها التاريخية أشـبه ما تكون بالمفاصل المتعينة نصـاً شـرعياً ، إمـا فـي نصوص القـرآن المجملـة، أو في نصـوص علامات السـاعة من أحاديث النبي ﷺ المفصلة.. وهي أسـاس القراءة التاريخية في العلم بعلامات الساعة.. ولم تسعفنا المعلومات المتوفرة في شأن الرسالات السـابقة ونظرها إلى التقسـيم للعلامات بشـيء نثبته هنا ما عدا ما قد أشارت إليـه الآيـات القرآنية والأحاديـث النبوية مجملاً عن علم السـاعة وعلاماتها دون تفصيل.

ولهـذا فـإن العلـم بعلامات السـاعة علـم ذو أهمية بالغـة في كافة مراحل الرسـالات السـماوية ، وهو أيضاً ركن شـرعي مـن أركان الدين في أمـة محمـد ﷺ لا ينفك عن الثوابت الثلاثة ولا ينفصـل عنها بأي حال من الأحوال ، بل هو عاضدها وسندها ، وهو منقذ أصولها وفصولها من عوادي الأزمنـة وتقلباتهـا المحزنة ، وقد تناولنا هذه المسـألة بتفصيل فـي كتابنـا «دوائر الإعادة ومراتب الإفادة».

وأما ما نحن بصدده هنا فالربط العلمي الشرعي بين العلامات الكبرى والوسطى والصغرى، وما أطلقنا عليه مسمى العلوم الخمسة، وخاصة أن هذه العلوم ثمرة من ثمرات ما قد أشار إلى حدوثه ﷺ، وهو عليه الصلاة والسلام أول من أبرز هذه المسميات، إما بورودها فيما أوحي إليه من كتاب الله تعالى أو فيما نفث من روعه ﷺ من علم النبوة.

فالثوابت الشرعية هو صاحبها وواضع أُصولها، والمتغيرات المعنية هو أيضاً ناطق خبرها ومنبئ وقوعها، والمستجد في هذا الأمر ربط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل، ثم ربط كل ذلك بعالم الآخرة والمصير من خلال القراءة النصية للأحاديث المختصة بعلم الساعة ومتغيراتها.

إنَّ فقه التحولات يعتني اعتناءً كبيراً بالمراحل المتقلِّبة ويدرسها دراسةً وافيةً وواعيةً، ولكن ليس من واقع الأحداث الجارية وثمراتها السياسية، وإنما من واقع النصوص الشرعية كتاباً وسنةً، وبهذه القراءة النوعية يتميز علم فقه التحولات عن بقية العلوم الشرعية والعلوم العقلية الوضعية، ويتجرد في بحثه وتقريره عن العواطف الناشئة بحكم القرابة والسلالة والقبيلة والجماعة والحاكمية والحزبية والطائفية والمذهبية المتشددة وغيرها، حيث لا حكم في قراءة المراحل ومظاهرها وظواهرها وحملة قرارها ودعاتها ورعاة استقرارها واستثمارها إلا للنصوص المختصة بالركن الرابع من أركان الدين.. وهذا الركن الشرعي أشبه ما يكون بالوعاء أو الإطار الذي يحفظ الأمانة من العبث والتلوث، ويمنع الوجوه المقنعة والفهوم المسيسة المصنعة من اختراق الديانة واختراق الأمة.

ولأهمية هذا الأمر وحساسيته يحتاج هذا العلم الشرعي إلى مَلَكَة التدرج في علم الركن الثالث من أركان الدين، وهو علم الإحسان، وهو العلم الذي

يضبط الأمزجة النفسـية والغرائز الطبعية عند وقوعها خلال دراسـة علم فقه التحولات في شـيء من مظاهر التحدي أو ظواهر التعديل ، ويظل الإسـلام والإيمان والإحسـان مصاناً بالأدب الشـرعي ومعترفاً به وبثمرات ممارسته وتطبيقاتـه في الأمة المسـلمة ، فلا يكشـف سـتر مسـلم ولا ينتقص شـرف مؤمـن: لا يُحكَـم على ظواهر السـلوك بالظنون ، ولا بمـا تفرضه الحوادث المسيَّسـة ، وإنما تصـدر الأحـكام فـي فقه التحـولات باسـتقراء النصوص المناسـبة وحسـن مطابقتها لقول من لا ينطق عن الهوى ﷺ ، مع الاستفادة والاسـتئناس بمـا خدمـه العلماء فـي تناولهـم لعلامات الساعة ، وشـرح ما عرفوه من التعليل والتحليل.

موقع فقه المقاصد من فقه التحولات

تناول العديد من حَمَلَة الأقلام في المرحلة موضوع «فقه المقاصد» واعتبروه فِقهاً يجمع ما تفرق من شؤون المتغيرات والحوادث وطوارئ العلامات ومستجدات الأمور، وكأني بالبعض يعتقد إن لم يجزم أن فقه المقاصد يعطي معنى ودور فقه التحولات، فكلاهما يبحثان هدفاً واحداً.

وبرغم أهمية الأخذ بعلم أو بفقه المقاصد وفائدته القصوى في تقريب فهم المسلمين إلى مسائل دينهم ودنياهم إلا أنه لا علاقة له بفقه التحولات من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن فقه التحولات منبثق من فقه الدعوة والعلم بعلامات الساعة، وفقه المقاصد منبثق عن علم الأصول القائم على ثوابت أركان الدين، ولا علاقة للركن الرابع فيه[1].

الوجه الثاني: أن العلماء المتأخرين ربطوا بين فقه المقاصد والدعوة باعتبار ما عرفوه في فقه المقاصد السابق ذكره، وفقه النوازل المعروف بقولهم معرفة الحوادث التي تحتاج إلى حكم شرعي.

قال الشيخ القرضاوي: إنَّ الدعاة بحاجة إلى فقه المقاصد الذي لا يقف عند جزئيات الشريعة ومفرداتها وحدها، بل ينفذ منها إلى كلياتها وأهدافها في كل جوانب الحياة[2].

وفقه التحولات يجعل العلم بعلامات الساعة ركناً من أركان الدين يعتني

---

(١) عرَّف علماء الأصول فقه المقاصد بقولهم: ويراد بالمقاصد الغايات والعلل والحكم التي تناط بها الأحكام الشرعية فيما يتصل بالعقيدة والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق.

(٢) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص ٦.

بالدعوة وتجديد أسلوبها ، ويربط بينها وبين علم الأصول وفقهه المحصور في الأركان الثلاثة ، ويجدد القراءة الشرعية في مسألة الغايات والعلل والحِكَم التي تناط بها الأحكام الشرعية ، لترتبط بفقه التحولات القائم على معرفة الأحكام الشرعية من النصوص المرتبطة بالحوادث وقراءة الحوادث الجارية من خلال النص الشرعي المشار إليها تحديداً في علامات الساعة.

ويتحدد بهذا أن مفهوم فقه النوازل وفقه المقاصد وما عرف به منحصر في مهمات فقهاء علم الأصول ومواضع الثوابت الثلاثة فيه ، وهي المهمات التي خدمها علماً جملةٌ من المسلمين قديماً وحديثاً ، ومنها ما كتبه الإمام الآمدي في محاولته البحث في ترتيب الضرورات الخمس وما جاء فيما بعد ، وكتاب «الموافقات» للإمام الشاطبي ، وما ذهب إليه إمام الحرمين الجويني وابن عاشور ، وفي هذا الموضوع كتب باحث شرعي بالمركز العالمي للوسطية في الكويت قوله: تبوأت المقاصد مكانةً عظمى في الدرس الأصولي، وبعد ذلك ظلت مهملةً في حقبة من الزمن ، أو ما يمكن يسمى فترة ركود التأليف في المقاصد من زمن الشاطبي إلى الطاهر ابن عاشور ، ثم أصبحت المقاصد لها الاهتمام الأول على أنحاء من الأصعدة المتعددة ، فلا يخلو كتابٌ شرعيٌّ - غالباً- من الإشارة إلى المقاصد أو الاهتمام بها أو الاعتماد عليها ، سواء كان في الدرس الأصولي أم الفتاوى ، بل وتعدى ذلك للدعوة والفكر الإسلامي المعاصر ، وتخطى إلى جوانب الحياة المتنوعة ، حتى وصل الأمر للدعوة إلى تفعيل المقاصد في شؤون الحياة الإدارية والسياسية والاقتصادية.

وتعليقاً على ما ذكره الكاتب نشير إلى فقرة من قوله: «بل وتعدى ذلك للدعوة» ، فإنه يؤكد أن أمر الدعوة إلى الله كانت خارج التطبيقات الأصولية

وأن الالتفات إلى مسألة الربط بين فقه المقاصد وفقه النوازل وبين الدعوة والدعاة جاء مستجداً ومتأخراً، بينما فقه التحولات يجعل من فقه الدعوة إلى الله ركناً من أركان الديانة، وموضوعاً شرعياً يرتفع فوق مستوى ما سمي أخيراً بفقه المقاصد وفقه النوازل.

ولا بأس من ربط فقه المقاصد وفقه النوازل وما تلاهما بمسميات الفقه المستجد كفقه المآلات وفقه الأولويات، وفقه الواقع، وفقه الموازنات، وفقه الائتلاف، وفقه النَّسَب أيها واجب؟ وأيها مستحب؟ وأيها محرم؟ وأيها يستحق الاهتمام؟ وأيها لا يستحق؟ وأيها حان وقته؟ وأيها يمكن تأخير الحديث عنه؟ وغيرها مما قيل فيها مما يحقق محكمات الشرع ولا يهمل متطلبات العصر.

ولا بأس بربطها بوظائفها التي يفهمها العلماء لمعالجة مسألة الأحكام والعلل التي تناط بها الأحكام الشرعية فيما يتصل بالعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب، باعتبارها فرعاً من وظائف فقه علم الأصول القائم على دراسة الثوابت الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، وفقه الحديث القائم على دراسة السنن القولية والفعلية والتقريرية؛ ولكن فقه العلم بعلامات الساعة يضيف على هذه الأمور ربط النص بالنص وربط الفقه بالنص، واستخلاص الأحكام من النصوص الاستباقية للأحداث والوقائع والمستجدات، فيما يعرف بفقه المتغيرات، وفقه التحولات، وفقه الحديث القائم على دراسة سنتي المواقف والدلالة، وفي هذا العلم الخاص بالتحولات قراءات ثلاث:

الأولى: قراءة المرحلة النبوية في مكة والمدينة وربطها بالنصوص الخاصة بفقه العلم بعلامات الساعة، ومن أهمها النظر في أسباب

النـزول وعلاقـات الأحاديـث بالتاريـخ وحوادثها المباشـرة ، وهذه المرحلة هي أهم مراحل قراءة فقه التحولات ؛ لكون مادتها الشرعية كتاباً وسنةً ومواقفَ ودلالاتٍ.

الثانية: مرحلة ما بعد الرسـالة ، بدءاً بموت النبي ﷺ ، إذ هو علامة وسـطى ومـا تلاها إلـى قيـام السـاعة ، وكلُّ فَقَـرةٍ ومفصـلٍ تاريخيٍّ وحادثـةٍ وواقعةٍ وتحولٍ وتغيرٍ له ما يناسـبه من العلامات والأشـراط والفتن ومضلاتها.

الثالثـة: مرحلـة مـا قبـل الرسـالة المحمديـة تصاعديـاً إلـى آدم عليه السلام ، وربطها بنصـوص القرآن الكريم والسـنة النبوية ، باعتبارهما المصدرين الأساسيين العادلين في وصف المسيرة الإنسانية التاريخية: مسـيرة النبوة الشـرعية ، وهي من عهد عيسى عليه السلام إلى موسى عليه السلام من قبل ، وما بينهما من عهد نبوات بني إسرائيل ، وما حفظ لنا القرآن الكريـم عن هـذه الفترة الزمنية مـن الوقائع والحوادث ، وما شـابهها مـن وصـف السـنة النبوية ، ومـا عضدها من صحيـح أقـوال الأنبياء والرسـل عليهم الصلاة والسـلام ومـن عهد إبراهيـم عليه السلام إلى عهد نـوح عليه السلام ، ومن عهـد نوح عليه السلام إلـى عهد شـيث عليه السلام ومن عهد شـيث عليه السلام إلى عهـد آدم عليه السلام ، وما بين هـذه المراحل والمفاصل التاريخية من صراع بين الحق والباطل والأمانة والخيانة.

الخاتمة

كان موضوعُ هذه الرسالة فقهَ العلوم الخمسة المنبثقة عن دراسة العلامات الكبرى والوسطى والصغرى ، ولهذا اقتصرنا على الجَوَلان في محيطها والدوران في ميادينها مجموعةً ومتفرقةً ، وقصدنا من ذلك فتح باب الملاحظة والمناقشة والحوار العلمي الهادف في هذا الفقه الشرعي المرتبط بالركن الرابع من أركان الدين ، الركن الذي لا زالت مادتُه العلميةُ ثروةً استكشافيةً في بطون أمهات كتب الحديث ومسانيده ، تحتاج إلى خدمةٍ واسعةٍ ومتابعةٍ واعيةٍ.

وهذا ما نرجوه ونأمله بتوفيق الله لأبنائنا وشبابنا في أربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية ومنتدياتها الاجتماعية والثقافية ، فهم أَلْزَمُ مِن غيرهم باديَ ذي بَدْءٍ في خدمة هذا العلم الشرعي الهام لاعتبارين أساسيين:

الأول: أن مادةَ الركن الرابع من أركان الدين مادةٌ مقررةٌ في مناهج الأربطة الإسلامية ، ومن مهماتهم خلال مرحلة الدراسة كتابة البحوث العلمية لهذا العلم ، وخاصة في مراحل التخرج النهائي.

الثاني: أن غالب المُعلِّمين والباحثين من شباب المنتديات والحلقات العلمية المقامة سنوياً في المناسبات المتعددة يتناولون هذا العلم في كثير من بحوثهم ودراساتهم المقدمة كأوراق بحث علمي للمناسبة.

وقد اجتمع لدى إدارة مركز الإبداع الثقافي التابع لأربطة التربية الإسلامية عشرات الأوراق والبحوث الخاصة بهذا العلم الهام ، وكلها تصبُّ في خدمة الوحدة الموضوعية لرباعية الأركان ومهماتها في إصلاح مجتمعات الإنسان وربطها الشرعي بالإسلام والإيمان والإحسان.

ونسأل الله التوفيق للجميع آمين..

فهرس المراجع

القرآن الكريم .

١ . تاريـخ الخلفـاء ، عبد الرحمن بن أبي بكر السـيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق: حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط الأولى: ١٤٢٥هـ .

٢ . جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، دار الحديث الطبعة ١٤٢٤

٣ . دوائر الإعادة ، للمؤلف .

٤ . ذخائـر العقبى فـي مناقب ذوي القربى ، محب الدين أحمد بـن عبد الله الطبري (ت: ٦٩٤هـ) ، مكتبة القدسي بالقاهرة ، ١٣٥٦ هـ .

٥ . السـنة ، أبـو بكر بن أبي عاصم الشـيباني (ت: ٢٨٧هـ) ، تحقيـق: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط: الأولى، ١٤٠٠ .

٦ . سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

٧ . سـنن أبي داود ، أبو داود سـليمان بن الأشـعث السِّجِسْـتاني (ت: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا .

٨ . سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط : الثانية .

٩ . السـنن الكبرى ، أحمد بن الحسـين بـن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ . سـنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥هـ) ، تحقيق: حسـين سـليم أسد الداراني ، دار المغني ، السعودية ، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ .

١٠ . السـنن الـواردة في الفتن وغوائلها والسـاعة وأشـراطها ، عثمان بن سـعيد أبو عمـرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) ، تحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة – الرياض ،ط: الأولى، ١٤١٦ .

١١ . شـعب الإيمان ، أحمد بن الحسـين بن علي ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشـد بالتعاون مع الدار السـلفية ببومباي ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ .

١٢ . الصحـوة الإسـلامية بـين الاختـلاف المشروع والتفـرق المذمـوم، ص ٦،دار الشروق – القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

١٣. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ.

١٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط:الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٥. صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

١٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

١٨. كتاب الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي (ت: ٢٢٨هـ)، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، ط: الأولى، ١٤١٢.

١٩. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ط: الأولى، ١٤١١هـ.

٢٠. مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢١. مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: الأولى.

٢٢. مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٩.

٢٣. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٤. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي عمان، ط: الأولى، ١٤٠٥.

٢٥. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية.

الفهرس